

العنوان:

الكوارث الطبيعية والأوبئة في الجزائر خلال العهد العثماني
(1830/1518 م)

مذكرة مكملة للحصول شهادة ماستر في التاريخ

تخصص: تاريخ الجزائر الحديث

إشراف الأستاذ:

أ.د. عبد الحميد عمران

إعداد الطلبة:

- ميساء قوفي

الصفة	المؤسسة الجامعية	إسم ولقب الأستاذ
رئيسا	جامعة محمد بوضياف . المسيلة	أ.د. كمال بيرم
مشرفا ومقررا	جامعة محمد بوضياف . المسيلة	أ.د. عبد الحميد عمران
مناقشا	جامعة محمد بوضياف . المسيلة	د. نور الدين مقدر

الله أكبر
بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين
والصلاة والسلام على
سيدنا محمد وآله الطيبين
الطاهرين



شكر وتقدير

بسم الله الرحمن الرحيم

" يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ " سورة

المجادلة، الآية 11

بسم الله نبتدي وبسم الله ننتهي وعليه نعول فيما نرتجي ونستهل بالحمد لله الذي ليس لقضائه دافع ولا لعطائه مانع ولا كصنعه صنع صانع وهو الجواد الواسع، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين المعلم الأول وقدوتنا في طلب العلم والعمل وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين وسلم عليهم تسليما كثيرا.

وبعد انهاء هذه الدراسة أجد في نفسي ومن دواعي الوفاء والعرفان أن أتقدم بالشكر المقرون المشرف على مذكرتي الأستاذ عبد الحميد عمران الذي كان له الفضل الكبير بعد الله تعالى في توجيهي وارشادي ولم يبخل علي من نصائح قيمة وملاحظات بناءة فجزاه الله عني خير الجزاء ووفقه لما يحب ويرضى وبارك في عمله وعلمه وجعل ما قدمه لنا خلال مشواره الدراسي كمشرف بالنسبة لي أو كأستاذ طيلة السنوات الماضية فجعل عمله في ميزان حسناته يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

كما يشرفني أن أتقدم بفائق شكري وتقديري إلى السادة أعضاء اللجنة على قبولهم مناقشة مذكرتي وصرفهم جزء من وقتهم الثمين لأجل قراءتها وابداء ملاحظاتهم السديدة داعية من الله عز وجل أن يحفظهم ويرعاهم.

ومن دواعي الاحترام أو الاعتزاز أن أتقدم بالشكر والامتنان إلى الأستاذ المحترم: نويقة عبد الرحمان الذي اقترح هذا الموضوع والذي دفعني إلى السير لدراسته حفظه الله ورعاه.

كما أتقدم بخالص عبارات الشكر والتقدير إلى كلية علوم الإنسانية والاجتماعية - قسم التاريخ وبالأخص شعبة تاريخ الجزائر الحديث وما وفرته لنا من بيئة علمية ومعرفية خصبة.

كما أجدد امتناني لكل الأساتذة الأفاضل في القسم على ما بذلوه من جهد في سبيل إيصال العلم والمعرفة.

كما أشكر موظف شؤون الطلبة عبد السلام حريزي على جهوده المبذولة والقيمة في خدمة الطلبة وتسهيل مختلف الإجراءات الإدارية بدون ملل ولا كلل جزاه الله خير الجزاء.

ختاما أقدم شكري إلى كل من كان لهم أثر على حياتي وإلى كل من أحبهم قلبي.

إهداء

- الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على الحبيب المصطفى وأهله ومن وفى أما بعد:
- الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وبفضله تنزل الخيرات والبركات.
- أرفع شكري لله أولا وآخرا على ما وفقني وأعانني وألهمني في مسيرتي لإتمام هذه الرسالة العلمية.
- إلى روح الحياة إلى من حملتني حبا قبل أن تحملني جسدا.
- إلى التي وهبت فلذة كبدها كل العطاء والحنان.
- إلى التي تعبت وسهرت وربت إلى التي رعنتني وكانت كل سندي وقوتي وكانت دعواتها لي دائما بالتوفيق والنجاح.
- إلى التي وهبتني كل ما تملك حتى أحقق أحلامها وآمالها.
- إلى التي شجعتني وكانت لي حافزا في اكمال مشواري الجامعي من بدايته إلى نهايته فكانت مدرستي الأولى في الحياة.
- إلى أمي الغالية حفظها الله ورعاها وأطال في عمرها وأمدّها بموفور من الصحة والعافية ها أنا أتممت ما كنتي تحلمين أن أتممه أهديكي ثمرة جهدي عربونا وفاء واعتراف بالجميل.
- شكرا لكي أمي في وقوفك معي دائما، فكنت المعطاءة قبل أن تأخذني والسخية قبل أن تطلبني والحنونة التي تقيض حبا دون انتظار مقابل.
- إلى أبي العزيز حفظه الله وأطال في عمره.
- إلى اخوتي: هيثم، محمد عبد الهادي، إسحاق، أنيس.
- إلى أختاي الحبيبتين: سناء وياسمين لكم مني كل الحب والوفاء والتقدير فقد كنتما السند والدافعين لي نحو الاستمرار متمنيين لي النجاح أسأل الله أن يحفظكما لي ويحقق لكما ما تتمنونه.
- إلى كل صديقاتي الغاليات اللواتي أكملت معهن مشواري الدراسي طالبة قسم التاريخ تخصص تاريخ الجزائر الحديث دفعة 2025م.
- كما أهدي هذا العمل إلى أستاذي المشرف الكريم عبد الحميد عمران الذي كان لي نعم الموجه والمرشد فبفضل نصائحه وتوجيهاته سلكت درب البحث بخطى ثابتة، كما أنه لم يبخل علي بمعلومات في كل مراحل هذا العمل.
- فله مني خالص الشكر وأسمى عبارات الاحترام والتقدير.

قائمة المختصرات:

أ. باللغة العربية:

الصفحة	ص
الصفحات المتتالية	ص ص
الجزء	ج
الطبعة	ط
دون تاريخ	د. ت
تعليق أو تعريب	تع
تحقيق	تح
تقديم	تق
ترجمة	تر
المجلد	مج
العدد	ع
الميلاد	م
الهجري	هـ

ب. باللغة الأجنبية:

P	Page
Pp	Page continues
Op.cit	Opéra cit ato المرجع السابق
I.bid	au même en droite المرجع نفسه

مقدمة

مقدمة:

خضعت الجزائر للحكم العثماني من سنة 1518-1830م وخلال هذه الفترة مرت أوضاعها بتقلبات عديدة تارة بالانتعاش وتارة بالانخفاض، ففي القرن 16م وبداية القرن 17م نجد أن الوضع كان قريبا من الاستقرار لكن سرعان ما تدهور في منتصف القرن 17م. فقد شهدت تلك الفترة تغيرات بيئية حادة تمثلت في الكوارث الطبيعية كالزلازل والفيضانات والجفاف إلى جانب تفشي الأوبئة كالتاعون والجذري والكوليرا، بحيث تعد من أبرز العوامل التي كان لها أثر عميق في تشكيل مسار التاريخ الإنساني والتي انعكست سلبا وبشكل مباشر على الحياة الاقتصادية والاجتماعية وعلى الجانب الصحي مما ساهم في تردي وسوء معيشة السكان مما أدى إلى التراجع الديموغرافي فتضررت أوضاع المدن والأرياف على حد سواء ونقص في اليد العاملة الزراعية والصناعية وتراجع النشاط التجاري، وقد استمر هذا التدهور حتى أواخر العهد العثماني حيث أصبحت ظاهرة الكوارث الطبيعية والأوبئة جزءا بارزا من واقع الحياة اليومية، فكان هناك ارتباط وثيق بين التردي الاقتصادي والاجتماعي من جهة وغياب المنظومة الصحية الوقائية من جهة أخرى القادرة على مواجهة وتصدي هذه الأزمات. أهمية الدراسة:

الدراسة جاءت تحت عنوان الكوارث الطبيعية والأوبئة في الجزائر خلال العهد العثماني من (1518-1830م) وكان تحديدي لهذا الإطار الزمني والمكاني نظرا لأهمية الموضوع المعالج وأهمية الفترة في تاريخ الجزائر لذا أردنا اإمارة اللثام عن جزئية هامة من جزئيات البحث في تاريخ المجتمع الجزائري الذي تعاقبت عليه مختلف الظواهر الطبيعية حيث أنها ليست مجرد رصد الأحداث فقط بل هي محاولة لفهم كيفية تعامل السلطة العثمانية والمجتمع الجزائري معها.

أهداف الدراسة:

- يندرج موضوع بحثي من الأبحاث التاريخية للكوارث الطبيعية والأزمات الصحية في الجزائر في الفترة الممتدة من (1518-1830م) من خلال تأثيرها على المجتمع الجزائري والسكان المحليين.
 - توثيقي لأهم الكوارث الطبيعية (زلازل - فيضانات - جفاف - مجاعة) وتحليل أبرز الأوبئة التي اجتاحت البلاد وعلى رأسها وباء الطاعون والجذري والكوليرا وآثارها على النمو الديموغرافي وإظهار انعكاسات هذه الكوارث على النشاط الاقتصادي (زراعة، تجارة، صناعة).
 - التطرق إلى أبرز طرق العلاج من بينها الطرق التقليدية أما سياسيا فنشوب الثورات الشعبية في أواخر العهد العثماني أواخر القرن 18م كثورة ابن الأحرش والثورة الدرقاوية والثورة التيجانية وانعكاساتها على السلطة العثمانية مما نتج عنها تمردات على السياسة والتي تميزت بالاستبداد والضرائب المجحفة حيث سعت السلطة العثمانية لحماية امتيازاتها دون مراعاة المساواة مع السكان المحليين.
- دوافع اختيار الموضوع: وذلك لسببين.

أ. دوافع ذاتية:

- رغبتني وميولي الشخصي للمواضيع الاجتماعية ومحاولة تسليط الضوء على تاريخ الجزائر في العهد العثماني خاصة الجانب الاجتماعي.
- الرغبة في التطلع لهذا الموضوع من خلال معاصرتنا في تعرض العالم بصفة عامة والجزائر بصفة خاصة لوباء كورونا وهذا ما دفعني للدراسة أكثر وأكثر مسار هذه الأوبئة.

ب. دوافع موضوعية:

- محاولة المساهمة في البحث العلمي لإعطائه صورة أكثر وضوحا للكوارث الطبيعية والأوبئة في الجزائر من خلال الفترة المدروسة.

- قلة الدراسات المتعلقة بهذا الجانب كما نجد أن هذا الموضوع لم يأخذ ما يستحقه من أهمية وهذا راجع إلى نقص المصادر والمراجع المتعلقة بهذا الموضوع.

إشكالية الموضوع:

إن البحث في موضوع الكوارث الطبيعية والأوبئة في الجزائر خلال العهد العثماني دفعني إلى طرح الإشكالية الآتية:

- فيما تمثلت الكوارث الطبيعية والأوبئة التي حلت بالجزائر خلال الحكم العثماني من 1518-1830؟

- كما تفرعت هذه الإشكالية إلى عدة أسئلة منها:

- ما أبرز المراحل التي شهدتها الجزائر في ظل العهد العثماني نتيجة الكوارث الطبيعية؟

- كيف أثرت هذه الكوارث والأوبئة على مختلف الجوانب؟

منهج البحث:

- نظرا لطبيعة الموضوع لقد اتعبت عدة مناهج لإنجاز مذكرتي أذكر منها:

- **المنهج التاريخي:** وذلك لسرد أهم الأحداث التاريخية التي تعرضت لها الجزائر خلال العهد العثماني.

- **المنهج الوصفي:** تم توظيفه لوصف الكوارث الطبيعية والأمراض مع محاولة إعطاء صورة توضح أساليب وطرق العلاج التقليدية المتخذة جراء هذه الأوبئة.

- **المنهج الإحصائي:** وظفته في إحصاء عدد الوفيات التي خلفتها الزلازل والمجاعة كما اعتمدت على إحصائية لوباء الطاعون من القرن 16م إلى القرن 18م.

خطة البحث:

- قمت بتقسيم العمل على الخطة الآتية، مقدمة وفصل تمهيدي وثلاثة فصول وحوصلة للموضوع.

- فقد تناولت في الفصل التمهيدي طبوغرافية الجزائر والتي تتمثل في الموقع الجغرافي للجزائر، وصف لمدينة الجزائر، تضاريس مدينة الجزائر، أما العنصر الثاني فقد تناول التركيبة البشرية والتي تتمثل في أصل السكان.
- أما الفصل الأول كان تحت عنوان الكوارث الطبيعية في الجزائر خلال العهد العثماني وقسمته إلى أربعة مباحث، فالمبحث الأول، جاء بعنوان الزلازل والمبحث الثاني تحدثت فيه عنه الفيضانات والمبحث الثالث عن الجفاف أما المبحث الرابع فجاء بعنوان المجاعة.
- أما الفصل الثاني فخصصت له عنوان الأوبئة في الجزائر خلال العهد العثماني احتوى على أربعة مباحث فالمبحث الأول يندرج تحته عنوان عن وباء الطاعون والمبحث الثاني تطرقت إلى وباء الجدري، والمبحث الثالث تحدثت عن وباء الكوليرا، أما المبحث الرابع فقد تمثل في أبرز طرق العلاج وخصصت فيه الطرق التقليدية مما أشرت إلى الجهود الشعبية لمواجهة الأوبئة.
- أما الفصل الثالث فتمثل في انعكاسات الكوارث الطبيعية والأوبئة في الجزائر خلال العهد العثماني تندرج تحته ثلاث مباحث، تطرقت في المبحث الأول، إلى انعكاسات الكوارث الطبيعية والأوبئة على الجانب الاجتماعي، والمبحث الثاني، تأثيرها على الجانب الاقتصادي، وفي المبحث الثالث تحدثت عن ظهور العديد من الثورات ضد الحكم العثماني بداية بثورة ابن الأحرش والثورة الدرقاوية والثورة التيجانية.
- في حين جاءت خاتمة البحث والتي كانت عبارة عن استنتاجات وخلاصة حول الموضوع التي توصلت إليه من خلال هذه الدراسة.
- ولإثراء موضوع بحثي فقد اعتمدت على مصادر ومراجع إضافة إلى مذكرات لأطروحة الدكتوراه ومثالات ومجالات ومن بين أهم المصادر والمراجع أذكر منها:

1. المصادر:

أ. المصادر باللغة العربية:

- كتاب المرأة لحمدان بن عثمان خوجة وهو كتاب يحتوي على معلومات تاريخية هامة وجوانب من الحياة الاجتماعية للمجتمع الجزائري خلال العهد العثماني.

- مذكرات نقيب أشرف الجزائر أحمد الشريف الزهار انتقيت منه الأحداث المتعلقة بالجانب الاجتماعي كذلك كالكوارث الطبيعية والأوبئة وتأثيرها على الأوضاع السياسية.
- مجلدات قسنطينة لمحمد صالح العنتري وقد أفادني في الأوضاع والظروف المعيشية للجزائر فيما تعلق بالقحط والمجاعة بمدينة قسنطينة وكذلك الثورات التي قامت ضد الحكم العثماني.
- مذكرات القنصل الأمريكي وليام شالر الذي أعطى إشارات على الجانب الاجتماعي والاقتصادي.

ب. المصادر الأجنبية:

- Jean Marchika: la peste en afrique.

- استعملته وأفادني أكثر على موضوع الأوبئة وخاصة وباء الطاعون.

2. المراجع:

- ورقات جزائرية، الجزائر في تاريخ العهد العثماني، الحياة الريفية لناصر الدين سعيدوني حيث أفادوني في جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية في المدن والأرياف.
- صعوبات الدراسة:

- كأني بحث لم يخلو من الصعوبات فقد واجهتني العديد منها في انجاز مذكرتي أنكر منها:
- تضارب الآراء في الكتابات التاريخية حول هذا الموضوع وصعوبة معرفة الرأي الصواب وعدم التمسك في المعلومات مع صعوبة الحصول على المراجع المتخصصة في هذا الموضوع.
- تشابه المصادر والمراجع في سرد الأحداث مما جعلتني في عدم القدرة على التوسع.
- أغلب المصادر والمراجع التي تخص الموضوع أجنبية وغير مترجمة وصعوبة ترجمتها.

المدخل:

طبوغرافية الجزائر

أولاً: الطبوغرافيا الطبيعية

1. الموقع الجغرافي للجزائر:

تقع مملكة الجزائر بين خطي عرض 33° و 37° و 20° من شمال خط الإستواء وبين 15° و 20° من خطوط الطول غرب جزيرة الحديد¹، يحدها شمالا البحر الأبيض المتوسط، ومن الغرب مملكة فاس، ومن الشرق مملكة تونس، أما في الجنوب جبال الأطلس². وقد أشار "وليام شالر William scheller" إلى أن مساحة الجزائر تبلغ حوالي 30 ألف ميل مربع وتتمتع بجو صحي ومناخ معتدل مريح ليس شديد الحرارة في الصيف ولا بقارص البرد في الشتاء، ويستثنى من هذه الرياح الجنوبية التي تهب بين الحين والحين وتدوم أحيانا أربعة أو خمسة أيام في منتصف الصيف³

2. وصف مدينة الجزائر

تكتسي مدينة الجزائر مظهرا أكثر روعة وما يلفت النظر بها بقع ظلال واسعة تبرز الأحياء النائية من خلفية سماء زرقاء وبحر ذي لون أزرق يميل إلى السواد حيث يمتد إلى الأفق قليلا، وفي الطرف الأيمن ينتصب حاجز الأمواج الذي قد تم بناؤه وصيانته في عهد الدايات على يد العبيد المسيحيين فهو يجمع بواسطة قارة طريق صخوراً منفردة موضوعة في مقدم المدينة تشكل نوعا من الجزيرة وهذا يكمن في سر الإسم الذي أطلق على الجزائر العاصمة⁴

¹ جزيرة الحديد: ربما يقصد بها جبل طارق أو إحدى جزر المحيط الأطلسي، للمزيد ينظر، ج أو هيبسترايت، رحلت العالم الألماني للجزائر وتونس وطرابلس 1145هـ 1732م، تر: ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، تونس، ص، 25.
² جبال الأطلس: يقصد بها جبال الأطلس البلدي التي تشرف على سهل متيجة وترى من مدينة الجزائر والتي يبلغ إرتفاعها عند كاف الشرقية 1629مترا، للمزيد ينظر: ج، أو هيبسترايت، المصدر نفسه، ص، 26.
³ وليام شالر، مذكرات وليام شالر قنصل أمريكي في الجزائر (1816-1824م)، تع إسماعيل العربي، ج الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982م، ص ص، 27-29.
⁴ أسيبور، وويلد، رحلة طريفة في إيالة الجزائر، تح، تق، تع، تر، محمد جيجلي، طر، شركة دار الأمة، الجزائر، 2002م، ص، 02.

أما "هايدو Haedo" في وصفه لمدينة الجزائر حيث قال: " أنها تتميز بلمسة من البهجة على المنظر من جميع الجوانب بألوانها الزاهية والناضجة بالحياة بها كمية كبيرة من الزهور التي تتفتح على مدار السنة والمثير للدهشة هو أن الحدائق تقع على الجبال المحيطة بالجزائر العاصمة، مع وفرة من التفاصيل الغريبة والتفاصيل الفريدة التي تبدو ضخمة ورائعة حيث نرى شوارع وساحات الجزائر"¹.

وقد وصف جون وولف " John Wolf" على مدينة الجزائر بمنظرها الجميل بحيث تعطي انطباعا يثير الإعجاب إذا نظر إليها المرء من جهة البحر، فأمام الرائي يتراى الرصيف البحري وتبدو المنازل متصاعدة على سفح الجبل وهي تشكل مدرجًا وتظهر الأسوار والمنازل ناصعة البياض وسط أشعة الشمس الإفريقية².

كما وصف "شالر shaler" مدينة الجزائر «بأنها مبنية على شاطئ البحر على قاعدة واسعة نسبيًا في شكل نصف دائري على هضبة سريعة الانحدار وهذا ما ذهب إليه في قوله: "إذا نظرت إلى مدينة الجزائر من البحر فستبدو لك في شكلها ولونها أشبه ما تكون بشراع سفينة ينتشر في مرج أخضر اللون والجبل المشرف عليها والأراضي المزروعة المحيط بها والتي تغطيها منازل بيضاء وبعضها من المباني الفخمة وأنت تقترب منها بأنك تشاهد واحد من أجمل ما يرى على شواطئ البحر الأبيض المتوسط"³.

3. التضاريس:

لقد ساعد تنوع التضاريس والمناخ وخصوبة الأراضي على وفرة أنواع مختلفة من المحاصيل الزراعية فقد خصص لكل منطقة بإنتاج نوع معين من المحاصيل الزراعية، وقد ذكرت المصادر أن القمح الجزائري كان من أجود الحبوب ينافس محاصيل الدول الأجنبية في

¹ Hedo (F. de diego ,topographie et histoire generale d'Alger traduite et l'espagnol Par M M de Monnereau et A Berbruggur, Paris, a Valladolid, en , 1870. P,210

² جون وولف، الجزائر وأوروبا (1830-1500م)، تر: أبو القاسم سعد الله، دار الرائد للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م، ص 150.

³ وليام شاكر، المصدر السابق، ص، 73.

الأسواق العالمية¹، وقد أكد القنصل الأمريكي في الجزائر "شالر shaler" بقوله: «وهذا القمح مشهورا في الأسواق الإيطالية ويفضلونه على جميع أنواع القمح الأخرى بسبب جودته لصنع المقارونة وغير ذلك من أنواع العجائن»².

- تدرس التضاريس الطبيعية من خلال عدة جوانب منها:

أ- **الجبال:** ضواحي مدينة الجزائر المعروفة بفحص ذات تضاريس جبلية تتخللها أودية رطبة تتميز بخصوبتها بها الكثير من الحدائق وأشجار العنب والبرتقال واللوز وغيرها من الأشجار المثمرة وغير المثمرة مثل السرو، أما الكروم التي يزرعها المسيحيون في حدائقهم فعنبتها من النوع الجيد واللذيذ والأتراك يقومون بتحويله إلى زبيب أو يعالجونه بالنار ليستخرجون منه مشروبا وحبا ذو طعم طيب يتناولونه كشراب بجانب الشراب العادي المعروف عندهم.

ب- **السهول:** يعتبر سهل متيجة من أهم السهول السياحية الساحلية بالبلاد الجزائرية يتميز بعمق تربته ووفرة مياهه وانتشار بعض المستنقعات بوسطه تحده جنوبا سلسلة الجبال الأطلسي البليدي وشمالاً مرتفعات الساحل يعتبر الطريق بين بلاد القبائل الجبلية وحوض الشلف يقدر طوله بأكثر من مائة كيلومتر أما عرضه فيبلغ من أقصى ساعة 35 كلم.

يتميز سهل متيجة بأراضيها الصالحة للزراعة والحنطة، فعرب البايك ووهران يزودون مخازن الداي بهذا المنتج بحيث يقوم ببيعه للأجانب الذين أصبحوا يفعل هذه المبادلات من كبار التجار بفرنسا وإسبانيا وجبل طارق³.

يعود المؤلف لتمجيد الطبيعة الجزائرية، فيتصور سهل متيجة حزاماً فاخراً تحتزم مدينة الجزائر تارة ويتصورها في بعض فصول السنة بساطاً أخضر تطرزه الأزهار والورود تارة

¹ أرزقي شوتيام، المجتمع الجزائري وفعاليته في العهد العثماني، (1830-1519)، ط1، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2006-2005م، ص ص 309-310.

² وليام شالر، المصدر السابق، ص، 30.

³ ج أوهينسترايت، المصدر السابق، ص ص، 49، 55.

أخرى، ويبره في آثار الضياع والقنوات وما وصل إليه سهل متيجة من أزهار وعمران خلال العهود الماضية¹.

وقد علق وليام سبنسر على سهل متيجة بحد قوله: «على أنه أحسن مثال على الإنتاجية الجزائرية تحت حكم الأتراك هو متيجة». وهذا راجع إلى أن سهل متيجة الغني أدى إلى سهولة التجارة².

إشتهرت فحص مدينة الجزائر بإنتاج مختلف أنواع الخضر والفواكة فبهذه المزروعات إستطاع الفحص أن ييسد حاجات سكان المدينة من خضر وفواكه في وقت كانت فيه سهول متيجة ومرتفعات الساحل وباقي الأقاليم الجزائرية الزراعية الأخرى تستغل في زراعة الحبوب وغرسة الزيتون وإنتاج الشمع والعسل والصوف والجلود والأخشاب وهي في أغلبها موجهة للتصدير الخارجي وليس للإستهلاك المحلي، ويمكننا الإشارة إلى أن فحص الجزائر كان يتوفر على مساحات كافية للرعي ومناطق غابية ملائمة للتزود بالأخشاب مما مكن مدينة الجزائر من سد حاجاتها من المواد الغذائية وساعد كثيرا على إستقرار حكم الدايات بها³.

ذكر حمدان خوجة في كتابه المرأة: "بأن الأراضي كانت شديدة الخصوبة بحيث إرتفاع سنابل القمح والشعير يزيد في بعض الأحيان عن قامة الرجل"⁴.

فسهول متيجة كما أشار إليها "شالر shaler" على أنها: "أجمل إمتداد للسهول على وجه الكرة الأرضية سواءاً إذا كانت النظرة من إعتدال المناخ أو لجمال موقعها، وهذه السهول تمتد على مائة ألف ميل مربع وتحتوي على عدد لا يحصى من الينابيع التي تنزل من الجبال

¹ أبو العيد دودو، (الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان 1830-1855م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1975م، ص، 81

² وليام سبنسر، الجزائر في عهد رياس البحر، تع،تق، عبد القادر زبادية، دار القصة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007م، ص، 137

³ ناصر الدين سعيدون، ورقات جزائرية (دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني)، دار البصائر، الجزائر، 2009م، ص ص، 365-366.

⁴ حمدان بن عثمان خوجة، المرأة، تع وتق وتح، محمد العربي الزبيري، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرعاية، الجزائر، 2006م، ص، 33.

المجاورة وتسقيها بمياهها، بحيث تستطيع أن توفر الغذاء لعدد من السكان أكبر مما تستطيع أن تعوله أية بقعة مماثلة على وجه الأرض¹.

ج-المياه: كان أهل الجزائر خلال القرن 18 يعتمدون في المياه على الصهاريج وعلى الأمطار في أوائل القرن 17م وجد أحد اللاجئين من اللاندلس نبعاً غزير المياه وعدباً عند سفح الجبل وعرف كيف يبني القنوات الضرورية لإحضار الماء إلى المدينة ونتيجة لذلك كان هناك أكثر من مائة عين بمدينة الجزائر، بعضها كانت في السجون (البابنوس) للأرقاء وبعضها في ثكنات الإنكشارية وبعضها في الشوارع حيث يتمكن السكان من ملئ جرارهم².

وقد أعجب "دولاماي" في رحلته بالحديث عن وضع سكان مدينة الجزائر وبنوعية مياه الشرب العذب الموصل بقناة المرتفعات إلى الجزائر العاصمة فقد أصدر حكماً على مدينة الجزائر بأن ها تكون أحسن بلد في العالم لو تكون بيد حكام نيرين³.

وقد عبر "كورين شوفاليه" على أن الجزائر في الماضي كانت تشكو من مشكلة الماء ولكن يوجد بالتأكيد عدة موارد صافية من المياه والتي تسيل على الشاطئ حيث يستخدمها السكان للشرب مما أدت هذه الموارد المائية إلى علاقات إجتماعية كبيرة في الميناء بين السكان والبحارة الأجانب الذين يجدون مكاناً سهلاً للتزود بالماء العذب ولكن ما من شك في وجود نبع ماء في سهل الأغنام الموجود داخل المدينة والذي سمي فيما بعد كتشاوة⁴.

¹ وليام شالر، المصدر السابق، ص، 106.

² جون وولف، المصدر السابق، ص، 155.

³ عميرايو أحميدة، الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر خلال العهد العثماني (مذكرات تيدنا نموذجاً)، دار الهدى، الجزائر، 2003م، ص، 23.

⁴ كوران شوفالييه، الثلاثون سنة أولى لقيام دولة مدنية الجزائر (1510-1541م) تر، جمال حمادنة، ديوان المطبوعات

الجامعية، الجزائر، 2007 م، ص، 12.

يتشكل فحص مدينة الجزائر المزود بشبكة مائية التي تتحكم فيها طبيعة التضاريس وكمية الأمطار السنوية¹.

أما الرحالة الألماني "ج- أوهسبترائيت" فقد أعجب بمدينة المدية وآبارها الكثيرة المشهورة جداً والتي تتميز بمياهها النوعية وهذا نادر في تلك الجهات، وقد كان هذا الماء موضع إهتمامنا منذ وصولنا فأخذنا من كل بئر كمية مختلفة من الماء لتحليلها ومعرفة خصائصها². وأهم ميزة طبيعية لفحص مدينة الجزائر هي الثروة المائية الضخمة التي تسد حاجة مدينة الجزائر من المياه وتوفر السقي الضروري للحدائق والبساتين³.

د- الأودية (في فحص مدينة الجزائر)

وادي المغاسل: لا يتجاوز طوله 6 كلم مع أنه يشكل المصدر الأساسي للزراعة بضاحية باب الوادي غرب المدينة، ويتشكل هذا الوادي من تجمع مياه الأمطار المتساقطة بالسفوح الجنوبية والشرقية لجبل بوزريعة، فيتميز بفيضاناته في فصل الشتاء وبعدم جفافه في فصل الصيف، وهذا ما سمح لسكان الجهات الغربية لمدينة الجزائر من إستغلاله في أغراضهم وحاجياتهم اليومية، وقد عرف لهذا السبب بوادي المغاسل لإعتياد سكان فحص على غسل ملابسهم⁴.

وادي كنيس: ينبع من المنحدرات الغربية لهضبة الأبيار ويتجه مجراه صوب منحدر بير مراد رايس ومن هناك يعبر ممراً ضيقاً يعرف بجرف المرأة المتوحشة قبل أن ينتهي إلى ساحل البحر بمنطقة العناصر الواقعة بالغرب من سهل الحامة شرق مدينة الجزائر بحوالي 5 كلم ومما يلاحظ أن هذا الوادي الذي يصرف كمية معتبرة من الأمطار يجني أغلب أشهر السنة لتسرب مياهه في التربة.

¹ ناصر الدين سعيدون، المرجع السابق، ص، 357.

² ج أو هبسترايت، المرجع السابق، ص، 65.

³ ناصر الدين سعيدون، المرجع السابق، ص، 362.

⁴ نفسه، ص، 370.

وادي الطارفة: لا يتجاوز طوله 12 كلم إبتداء من منبعه من عين سي يوسف إلى ساحل البحر إلى الشرق من شبه جزيرة سيدي فرج وتعود أهميته إلى كونه يصرف مياه السفوح الغربية لجبل بوزريعة عن طريق رافديه، وادي بني مسوس ووادي الأكل .

وادي بني مزاب: ينبع من المرتفعات الشرقية للجزائر خارج باب عزون ويصب في البحر في المكان المعروف بعيون الربط (ساحة أول ماي حاليا).

وادي الكرمة: يستمد مياهه من مرتفعات على بعد كيلومتر من قرية دالي إبراهيم، ويقطع منحدرات الساحل بعد أن يرفده وادي الزبوجة ليصب بعد ذلك في نهر الحراش¹.

ثانيا: الطبوغرافيا البشرية:

1. أصل السكان

أ. البربر:

يرى ابن خلدون أن البربر من نسل أمازيغ بن كنعان بمعنى من أصول الكنعانية المشرقية، حيث يقول ابن خلدون: « أن أفريقيش بن قيس بن صيفي" من ملوك التابعة لها غزا المغرب وإفريقية وقتل الملك جرجيش وبني المدن والأمصار بإسمه سميت إفريقية لما رأى هذا الجيل من الأعاجم ووعي إختلافها وتنوعها وتعجب ذلك وقال لأكثر بربرهم قسموا بالبربر، والبربرة بلسان العرب، هي إختلاط الأصوات الغير مفهومة ومنه يقال بربر الأسد إذا زار بأصوات غير مفهومة².

فسكان الجزائر من البربر ومن الحضر كانوا في أول الأمر هم البلدية (الحضر)، (الأهالي) ونعني بهم سكان الجزائر الذين كانوا عندما وصلها الأتراك³.

يقطنون البربر في قرى يسمونها "دشرة" تتكون من أكواخ مبنية بالطين والوتل وحكومتهم عبارة عن مزيج من الديموقراطية والأرستقراطية، والقبائل شعب نشيط وذكي وهم مهتمون بزراعة

¹ ناصر الدين سعيدون، المرجع السابق، ص، 370.

² عبد الرحمن ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج6، دار الفكر، لبنان، 2006م، ص ص، 90-91.

³ جون وولف، المصدر السابق، ص، 165.

الأراضي وتربية المواشي وكل ما يحتاجون إليه لمعيشتهم كما أنهم ينسجون عدة أنواع من الأقمشة الصوفية ويشتهرون بزراعة أشجار الزيتون ويحسنون أيضا صنع بارود المدافع والنحاس والحديد.¹

وهم ابن تملّا ابن مازيغ بن كنعان بن حام وقيل بأنهم قبائل شتى من حمير ومضر والقبط والعمالقة وكنعان وقريش تألقوا بالشام.²

يحكى أن الملك إفريقيش عندما غلبه الأثوريون، هرب إلى مصر ولما وجد نفسه مطاردا عاجزا عن مقاومة العدو إستشار قومه في أي سبيل سيسلكونه للنجاة فأجابوه صاريخين (البربر)، أي الصحراء معبرين بذلك عن كونهم لا يعرفون أي حل سوى عبور النيل واللجوء إلى صحراء إفريقيا³.

ب العرب:

والعرب أوضح الأمم نسبا وأبعدها عن الإمتزاج والإختلاط، إتفقت الكلمة وجمعت الآراء على أنهم من سام بن نوح نزحوا من العراق إلى جزيرتهم في عصور متفاوتة ومتناهية القدم واتخذوها موطنًا حفظوا به أنسابهم من الإختلاط وحافظوا إليها من الإندماج المفضي إلى الإضمحلال⁴.

¹ وليام شالر، المصدر السابق، ص، 113

² أحمد بن سحنون الراشدي، التغر الجمائي في إبتسام الثغر الوهراني، تح وتق المهدي البوعبدلي، ط1، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م، ص، 452.

³ حسن بن محمد الوزان الفاسي، وصف إفريقيا، تر: محمد حجي، محمد الأخضر، ج1، ط2، دار الغرب الإسلامي للنشر والتوزيع، لبنان، 1983م، ص، 34.

⁴ مبارك بن محمد المليي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تق، تص، محمد المليي، ج2، دار الغرب الإسلامي للنشر والتوزيع، بيروت، د.ت، ص، 10.

يعتبر العرب من البدو الذين يسكنون الخيام وتتألف كل ثرواتهم من قطعان المواشي، فهم يقومون بفلاحة الأرض إلا عند الحاجة الماسة إلى الأبقار كما أنهم غير مرتبطين بالأرض مادام غير مالكين لها والعرب ينقسمون إلى قسمين العرب والشاوية¹:

يتميز الشاوية عن العرب باللغة الخاصة بهم وتكمن مواطنهم في جبل قريون ونيف النسر أما عشائهم المستقرة بالبايلك الشرق فهي الحراكطة، عبد النور، التلاغمة، أولاد سلام، أولاد الأخضر، أولاد سلطان، السقينة، أولاد عزيز وأولاد معوش، وعيساوة، ومنطقة الأوراس²

ج- الأتراك:

ينتمي الأتراك إلى قبائل الغزالتركستانية بقلب آسيا، هاجوا من موطنهم الأصلي من أذربيجان واتجهوا غرباً إلى شبه جزيرة آسيا الصغرى «الأناضول» وكونوا دولتهم في نهاية القرن 13م على حساب الدولة البيزنطية ومن هناك عبروا بحرًا مرمرًا ومضيق البسفور والدرنديل ورموا بكل ثقلهم في شرق أوروبا وأطاحوا بالدولة البيزنطية واستولوا على عاصمتها بيزنطة في عهد السلطان محمد الثاني 1453م واتخذوها عاصمة لهم ثم أخذوا يوسعون رقعت دولتهم على حساب الإمارات المسيحية النصرانية الأخرى البلغارية والمجرية والرومانية واليونانية.

وفي السبعين سنة التي تلت فتح مدينة القسطنطينية ركز الأتراك على تدعيم وجودهم بشرق أوروبا وحاولوا غزو بلاد فارس وسيطروا على بلاد الشام 1516م ومصر 1517م وتسلموا منصب الخلافة الإسلامية من آخر الخلفاء العباسيين بها في نفس العام واكتسبوا بذلك إحترام وتقدير الشعوب الإسلامية وجمع سلاطينهم بين السلطتين الدينية والزمنية³.

¹ الشاوية: يعني شاوية الأوراس في جنوب إيالة قسنطينة، للمزيد ينظر، حسن بن محمد الوزان الفاسي، المصدر السابق، ص، 66

² ناصر الدين سعيدوني المرجع السابق، ص، 158، 159

³ يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، ج 2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2009م، ص 5.

لما تعرض "هايدو Haedo" من أواخر القرن 16م لسكان مدينة الجزائر قسم الأتراك إلى صنفين: صنف الأتراك الأصليين الذين يأتون إلى الجزائر يومياً من الإمبراطورية العثمانية بحثاً عن الثروة خاصة في ميدان القرصنة.

إنهم يأتون من الأناضول أو تركيا الأسيوية ومن رومانيا أو تركيا الأوروبية، فأترك أوروبا ينتمون إلى الإنكشارية¹، والذين كانوا يستقرون في حصون وثكنات مدينة الجزائر أو يتوزعون على حاميات المدن²، ويعيشون من عملهم وصناعتهم وكانوا يشكلون حوالي 1600 بيت، أما الصنف الثاني: فهم أترك العقيدة وهم المسيحيون الذين اعتنقوا الإسلام ويعرفون بإسم الأعلاج فهم أكثر عدداً من الأتراك الأصليين، ومن أسباب إعتناهم الإسلام هي الإرادة في التخلص من العبودية فهم الأسرى الذين إستولى عليهم رياس البحر³.

وقد لاحظ "شالر Shaler" بأن الأتراك متمسكون بالولاء لحكومتهم تمسكا تشبه في آثاره شعور الوطنية، وهذا الشعور تغنيه التغيرات والثورات المتوالية في الحكومة والإدارة⁴.

د. الأندلسيون:

إختار الأندلسيون المنحدرون من أصول القشتالين والغرناطيين وكذا المنحدرون من أصول عربية وبربرية قديمة التأسيس بالأندلس وأثر الكثير منهم الرحيل إلى المغرب الأوسط في السواحل المقابلة بهم وبهذا الصدد قد ذكر ابن خلدون في قوله: «... وأما أهل الأندلس فانترقوا في الأقطار عند تلاشي ملك العرب بها ومن خلفهم من البربر وتغلبت عليهم أمم نصرانية، فانتشروا في عدوة المغرب وإفريقية من الدول المتوفية إلى هذا العهد وشاركوا أهل العمران أن بما لديهم من الصنائع وتعلقوا بأذيال الدولة»⁵.

¹ صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي (1514-1830م)، دار الهومة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002م، ص، 356.

² ناصر الدين سعيدوني، الجزائر في العهد العثماني، الشيخ المهدي بوعبدلي، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، وحدة الرغبة، 1984م، ص 92.

³ صالح عباد، المرجع السابق، ص، 356.

⁴ وليام شالر، للمصدر السابق، ص، 57.

⁵ عبد الرحمان ابن خلدون، المصدر السابق، ص، 401.

أما "جون وولف": " فوصف أن المهاجرين من الأندلس سواء كانوا ثغريين أو أندلسيين كانوا أناس أشداء، رغم أن هؤلاء المهاجرين الأندلسيين كانوا قلة في الجزائر فإنهم مع ذلك كانوا أغنياء جداً في أغلبهم"¹.

هـ. اليهود:

يعد اليهود في الجزائر من أقدم سكانها وهم يشكلون جزءاً أساسياً في النسيج الاجتماعي العام وكان وضعهم القانوني خلال الحكم العثماني بالجزائر مرتبطاً بتعاليم الشريعة الإسلامية خضعوا لأحكام أهل الذمة، ورغم إحتفاظهم بخصوصيتهم كيهود على قدر كبير من الإدماج في الحياة الاجتماعية والثقافية للمجتمع الجزائري، كما كان لهم نشاط واسع في المجال الإقتصادي خاصة التجارة، وهم رغم قلة عددهم وإختلاف أصولهم إستطاعوا أن يتأقلموا مع طبيعة البلاد وأهلها².

فيهود مدينة الجزائر غير معروفين من خلال كتابات المسيحيين عنهم وأغلبيتهم الساحقة كانوا معادين لليهود وقد. كان في سنة 1675 حوالي ثلاثة عشر ألف يهودي بمدينة الجزائر وأغلبهم كانوا أهليين لأن أجدادهم كانوا بمدينة الجزائر منذ أمد بعيد³.

وقد أشار " حمدان خوجة" على أن من بين الأسر التي كانت تفر من إسبانيا عدد كبير من اليهود الذين فضلوا مدينة الجزائر على غيرها لما رأو فيها من حكم معتدل وآمن على أشخاصهم⁴.

يعد الوجود اليهودي بالجزائر قديم لكن بدايته غير معروفة على وجه التحديد فمن المؤرخين من أرجعه إلى قرابة 3000 سنة أي من قدوم الفينيقيين إلى شمال إفريقيا لممارسة التجارة خاصة بعد إنشائهم لمدينة قرطاجنة عام 814 ق،م ولا يمكن إعتبار هذا التواجد فعليا

¹ جون وولف، المصدر السابق، ص، 166.

² أمال معوشي، يهود الجزائر، والإحتلال الفرنسي (1830-1870م)، وزارة الثقافة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2014م، ص، 9.

³ جون وولف، المصدر السابق، ص، 167.

⁴ حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص، 71.

المدخل التمهيدي: طبوغرافية الجزائر

إبتداء من هذا الزمن، لذلك أن اليهود كانوا غير مستقرين في شمال إفريقيا بشكل دائم فقد كانوا يمارسون التجارة كغيرهم ثم يعودون إلى المناطق التي قدموا منها أي من الشرق الأعلى¹. ونجد اليهود الذين يقطنون مدينة الجزائر يمارسون تجارة القوافل التي تمتد بين الجزائر وقسطنطينة ويتقاسمون الحرف والتجارة التي كانت عمل في يد يهود الجزائر².

¹ كمال صحراوي، الدور الدبلوماسي ليهود الجزائر أواخر عهد الدايات، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، معهد العلوم الإجتماعية والإنسانية، قسم التاريخ، جامعة معسكر، 2007-2008م، ص، 13.

² شارل روبيير أجيرون، تاريخ الجزائر المعاصر، تع محمد علي عامر، ط1، دار النهضة، لبنان، 1989م، ص، 12.

الفصل الأول:

الكوارث الطبيعية في الجزائر

خلال العهد العثماني

تمهيد:

تعد الكوارث الطبيعية من أخطر الكوارث التي شهدتها الجزائر خلال العهد العثماني (1518-1830م)، فقد تعرضت البلاد إلى زلازل مدمرة وفيضانات عارمة وأزمات جفاف ومجاعات قاسية مما ترتب عنها من خسائر فادحة في الأرواح والممتلكات ويمتد تأثيرها إلى إلحاق الضرر بالاقتصاد القومي والاجتماعي، ومن المؤكد أن الكوارث الطبيعية التي داهمت الجزائر خلال هذا القرن كان لها دور كبير في اضعاف القوة البحرية.

تعريف الكوارث الطبيعية:

- **أولا لغة:** مأخوذة من كرت، كرتة، الأمر يكرته، ويكرته كرتا، وأكرته أي أساء واشتد وبلغ عليه، وبلغ منه المشقة... قال الأصمعي " لا يقال كرتها فما يقال أكرته"، وفي حديث علي: " في سكرة ملهبة وغمرة كارثة أي شديدة شاقة من كرتة الغم أي بلغ منه المشقة"¹.
- **ثانيا اصطلاحا:** تعني الحدث المفاجئ أو غير المفاجئ ولأسباب طبيعية لا دخل للإنسان فيها أو بسبب تصرف الإنسان الخاطئ أو لتداخل الأسباب الطبيعية والبشرية ويترتب عليها خسائر مادية وبشرية ويختلف حجمها حسب نوع الكارثة وشدتها.²
- **الكوارث في القرآن الكريم:** لقوله تعالى: " قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ "³.

¹ أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، مج2، دار الصادر، بيروت، ص، 180.

² خلف حسين علي الدليمي، الكوارث الطبيعية والحد من أثارها، ط1، دار الصفاء، للنشر والتوزيع، عمان، 2009م، ص،

21

³ قرآن كريم، سورة الأنعام، الآية 65.

الفصل الأول: الكوارث الطبيعية في الجزائر خلال العهد العثماني

المبحث الأول: الزلازل:

أولاً: تعريف الزلزال:

هو عبارة عن خروج الموجات الاهتزازية من منطقة البؤرة الزلزالية التي تقع على خط ضعف (عادة خط صدع)¹ لمسافات بعيدة تحت قشرة الأرض تصل إلى عدة كيلومترات وتمثل النقطة الواقعة عليها مباشرة ما يعرف بمركز الزلزال epicentre والذي يعد بدوره أكثر المناطق على سطح الأرض تأثراً بالزلزال.

ثانياً: مراحل حدوث الزلزال في الجزائر خلال العهد العثماني:

لقد عرفت البلاد الجزائرية العديد من الهزات الأرضية العنيفة وقد كان لها تأثير مدمر على العمران خلفت العديد من القتلى وألحقت خسائر جسيمة² من بينها زلزال 1586 الذي ضرب بمدينة الجزائر.³

- زلزال 1632م: كانت لزلة شديدة جدا فأسقطت ديار المدينة فهلك الكثير من سكانها⁴.
- زلزال 1662م: أدت العواصف والزلازل إلى تحطيم برج المول ففرقت إحدى عشر سفينة وتسعة غنائم بالميناء.⁵

¹ أشار العالم Reid عام 1906 إلى أن نظرية ارتداد المرن تعطي تفسيراً مقبولاً لأسباب حدوث الزلازل أثناء تكون الصدوع، فإذا ما زادت الضغوطات الناتجة عن قوى الاحتكاك بين الصخور حدثت إزاحة على جانبي الصدع تسبب عن ذلك انطلاق طاقة مختزنة في شكل موجات اهتزازية، للمزيد ينظر: محمد صبري محسوب، محمود إبراهيم أرباب، الأخطار والكوارث الطبيعية، ط1، دار الفكر العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، 1998م، ص، 51.

² ج، أوهسترايت، المصدر السابق، ص، 68.

³ أمين محرز، الجزائر في عهد الآغوات (1659-1671م)، منكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2007م-2008م، ص، 118.

⁴ حسن ابن المفتي بن رجب شاوش، تقييدات ابن المفتي في تاريخ الجزائر وعملائها، ط1، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م، ص، 77.

⁵ Grammont, Henri Dalmas, Histoire D'alger sous la Domination Tuque 1515-1830, E, leroux, Paris, 1887, p 213.

الفصل الأول: الكوارث الطبيعية في الجزائر خلال العهد العثماني

- زلزال 1676م: أخطر زلزال حيث ذكر "كوملان"، "comlin" أنه دام عدة شهور من شهر فبراير إلى شهر جوان وأدى إلى تضرر أغلب ديار مدينة الجزائر.¹
- زلزال 1715م: فكان زلزال مخيف حطم قسما كبيرا من المدينة وخلف الكثير من الاضطراب والنهب والفوضى السياسية ومع ذلك فإن الداى علي باشا لم يتجاوز الأزمة كانت صحته في تدهور مستمر، مما تفاقمت الأوضاع الناتجة عن الكارثة من دمار ومجاعة وتشريد حيث واجه الداى عليه باشا هذا الحدث الطبيعي بكثير من الحزم، بل أنه كان قادر على أن يموت على فراشه، فتوفي بعدها بثلاث سنوات 1718.²
- زلزال 1716م: في 03 فبراير وفي الساعة الثانية صباحا ضرب زلزال مروع، مما أدى إلى إنهيار العديد من المنازل ونشوب الحرائق، إضافة إلى هذه الأهوال حدوث فوضى وأعمال الذهب والسرقة، وفي اليوم الرابع والخامس استمر الزلزال مع هزات أقل عنفا ولكنها تكررت كل نصف ساعة³، ومن المناطق التي حدث بها الزلزال مدينة الجزائر وشرشال وبجاية وقضى بحياة ما لا يقل على عشرين ألف نسمة⁴، حيث اضطر الأحياء على الفرار إلى فحص المدينة بعد أن تهدمت منازلهم.⁵
- زلزال 1717م: فقد ضرب زلزال شديد دمر المباني وتخلى السكان عن المدينة فقد أثر عليها بشكل كبير، حيث أشار "لوجي دوتاسي" "Lougier de tassy" بأنه تم تصميم

¹ أمين محرز، المرجع السابق، ص، 118.

² علي باشا: تولى الحكم (1718-1910) جزائري الأصل، من أهم أحداث عصره القضاء على الثورة القومية الجزائرية ضد العثمانيين في 15 أغسطس 1710، استقلال الجزائر الإداري من الدولة العثمانية في 04 أكتوبر 1710، حدوث زلزال مدمر في الجزائر عام 1715، توفي بمرض السعال عام 1718، للمزيد ينظر: نشوان زيد علي عنتر: الجزائر في عهد الدايات (1671-1690)، النبراس للنشر والتوزيع، صنعاء، 2005م، ص، 15.

³ Grammont, Histoire d'alger... op, cit, p 277.

⁴ جليل بن عتق، زهاد قوراري، الأوضاع المعيشية والصحية والديمغرافية في الجزائر العثمانية من خلال المصادر الغربية، "مجلة الناصرية الدراسات الاجتماعية والتاريخية"، مج13، ع2022، 1م، ص، 649.

⁵ ج، أوهيسنتراييت، المصدر السابق، ص ص، 68، 69.

الفصل الأول: الكوارث الطبيعية في الجزائر خلال العهد العثماني

شوارع المدينة بشكل ضيق لتجنب حرارة الشمس وامتألت الطرق بالخيام التي تسكن فيها الفقراء وتفاقت المعاناة بسبب الفقر مما أدى إلى وفاة عدد كبير من الناس.¹

لقد قامت مدينة الجزائر من شدة الزلازل التي دمرت الكثير من المنازل مما أدى إلى التخوف منه وبعض الرغبة في المظهر الخارجي، فقد أدى بها إلى تحديدات بخصوص على المباني وزخرفتها.²

- زلزال 1735م: فقد وقعت أربعة رجات لكن دون تسبب أي أضرار وفي المقابل فإن شرشال وقعت أغلب دورها فهلك الكثير من سكانها مما أدى إلى وفاة مائة وخمسون شخصا.³

- زلزال 1755م: حيث وقع زلزال عنيف بالجزائر دامت هزاته مدة شهرين من نوفمبر إلى آخر شهر ديسمبر⁴، ويعتبر من أكثر الزلازل قوة نظرا للخسائر والدمار مما أثر على الأعمال الزراعية نتج عنه تدمير البيوت والعتاد الزراعي وقضى على البشر والمواشي، حتى أن بعض شهادة المعاصرين ذهب إلى حد قولهم فلم يبق منزل لم يتأثر بحدثه فكل بيوت مدينة الجزائر تضررت منه.⁵

- زلزال 1760-1770م: كان زلزال شديدا وأكثر عنفا فقد خرب مدينة البليدة وأحدث ضرا كبيرا بمدينة الجزائر مما جعل السكان يتجنبون الحداثق والبساتين⁶، حيث استشعر الناس

¹ Lougier de tassy, Histoire de royomme d'alger avec l'état present de son gouvernement AMSTERDAM, chez Henri du SAUZET et 1725, p 156.

² وليام سبنسر، المصدر السابق، ص ص، 59، 61.

³ حسن ابن المفتي، المصدر السابق، ص، 78.

⁴ أحمد الشريف الزهار، مذكرات أحمد الشريف الزهار (نقيب أشراف الجزائر)، 1754-1830م، تح، أحمد توفيق المدني، ذخائر العرب العربي للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974م، ص، 18.

⁵ ناصر الدين سعيدوني، الحياة الريفية بإقليم مدينة الجزائر (دار السلطان) أواخر العهد العثماني (1791، 1830م)، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، ص، 329.

⁶ ج، أوهينسترايت، المصدر السابق، ص، 55.

الفصل الأول: الكوارث الطبيعية في الجزائر خلال العهد العثماني

من هذه الآثار الرهيبة وكان الغبار متصاعد من الأرض قد غطى المدينة بأكملها تقريبا ولم يتوقف ارتجاج الأرض كامل اليوم والليلة وقد تجدد الارتجاج أربعة وعشرون مرة.¹

- زلزال 1790م: وعلت الساعة الواحدة صباحا وقعت بمدينة وهران هزة أرضية عنيفة جدا وكانت في يوم 09 من أكتوبر وقد دامت ثلاثة دقائق حطمت كل منازل وهران تقريبا وألحقت بالحصون والقلاع والكنائس أضرار بالغة وماتت تحت الأنقاض ثلاثة آلاف نسمة من سكانها وجنودها ومن بينهم الحاكم العام الاسباني بالنيابة " دون نيكولا غارسيا"²، فاشتدت تضيق الجزائريين على المحاصرين إبان هذه النازلة³، حيث كانت فائدة للجيش الجزائر الذي كان يحاصر المدينة لاسترجاع المرسى الكبير ووهران من أيدي الاسبان⁴ الذين كانوا يستعمرون المدينة منذ أوائل القرن 16م.⁵

تركز كثير من الدراسات الغربية على أن الزلزال الذي تعرضت له مدينة وهران كان السبب المباشر الذي دفع بالإسبان إلى الانسحاب مما ساعد الجزائريين في فتح وهران حيث استغلوا ما أحدثته من تدمير للمنازل والأضرار التي لحقت بالحصون والقلاع المنيعة التي كان يتحصن وراءها الإسبان.⁶

¹ منال حميطوش، منيرة بلعباس، الكوارث الطبيعية وانعكاساتها على المجتمع خلال العهد العثماني، 15519-1830م، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، قسم التاريخ، جامعة أكلي محند أولحاج، البويرة، 2021، 2020م، ص، 20.

² أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمئة سنة بين الجزائر واسبانيا، 1492-1792، شركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر د. ت، ص ص، 523، 524.

³ محمد خير فارس، تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي، ط1، كلية الآداب، جامعة دمشق، 1969م، ص، 117.

⁴ عزيز سامح ألتز، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، تر: محمود علي عامر، ط1، دار النهضة العربية للنشر والتوزيع، بيروت، م1989، ص، 558.

⁵ Redouane chimouni. Audauther, " le 1790 oran earthquake, N6, V; 89, a seismic event intimes of conflict along the algerian", coast: acritical revieur from western and local source materials, 2018,p,1

⁶ عبد القادر فكايير، " معاهدة الجزائر مع إسبانيا 1786-1791 ظروفها وانعكاساتها على العلاقات بين البلدين، "مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية"، ع1، جامعة الجليلي بونعامة، خميس مليانة، ص ص 412-413.

الفصل الأول: الكوارث الطبيعية في الجزائر خلال العهد العثماني

فقد وصف أحمد بن سحنون الراشدي في حد قوله: " وأما دور السكن فقد تهدمت بالزلزلة حيث لم يبق إلا أطلالها غير أنهم جعلوا خارجها بين الأبراج بيوتا من اللوح رائقة الشكل بديعة الوضع، أكثرها يحتوي على ما تحتوي عليه الدار الرائقة من المنافع والمساكن"، وخالصة قوله أن الزلزال الذي ضرب المدينة قد هدم المساكن وعوضت ببيوت خشبية.¹

فقد نتج عن الزلزال حدوث حرائق وهزات أرضية متكررة إلى غاية 22 نوفمبر² فهرع الكثير من الناس للذهب والسلب مستغلين حالة الاضطراب التي تواجهها المدينة وقال القائد في تقريره: " إن الكثير من الناس السيئين هرعوا إلى منازل الأغنياء ولو كان الأعداء يقومون بالاغتنام من هذه المنازل كما حدث ذلك التخريب فطلب بمعاقبة المذنبين على قلة أديهم".³

وقد عبر " هنري " "Henri" في قوله عن رأيه في الزلزال العنيف الذي ضرب مدينة وهران: " غرقت مدينة وهران بأكملها في نوم عميق، لا يزعجها سوى صرخة منادي الليل الحزينة، عندما شعر فجأة بحركات متذبذبة طفيفة مصحوبة بدمدمة خافتة مثل دوي الرعد البعيد أدى ذلك إلى عدة انهيارات أرضية متتالية أبقّت السكان مستيقظين ومندهشين أكثر من خائفين، فشعروا بالرعب فبحثوا عن طريق للهروب من هذه الهزة المفاجئة المروعة فقد اهترت المدينة بأكملها وأسوارها الضخمة بحركة ارتداد وحشية وقد تعدى عدد الوفيات 3000 آلاف مخلوق بشري دفنوا بالمدينة.⁴

¹ أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي، الثغر في الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تح وتق المهدي البوعبدلي، ط1، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م، ص، 89.

² فلة موساوي، القشاعي، الصحة والسكان في الجزائر أثناء العهد العثماني وأوائل الاحتلال الفرنسي (1518-1830م)، أطروحة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية، قسم التاريخ جامعة الجزائر، 2003، م 2004، ص، 85.

³ عزيز سامح ألتري، المرجع السابق، ص ص، 558، 559.

⁴ Fey, Henri ,leon, Histoire d'oran avant pendant et après la domination espagnol editeur

adlophe perrier, oran, 1858, p 234.

الفصل الأول: الكوارث الطبيعية في الجزائر خلال العهد العثماني

- زلزال 1802م: ويعتبر من أشد الهزات الأرضية تدمير التي حدثت في الجزائر وقد ترتب عنه خراب مدينة القليعة فهدمت على إثره منازل كبيرة وقضى على عدد كبير من الناس.¹
- زلزال 1825م: وقع زلزال في اليوم الثاني من شهر مارس على الساعة 09 ونصف صباحا وكانت هزة أرضية عنيفة في مدينة الجزائر تلتها هزات أخرى في ظرف 48 ساعة وقد نجم عنها تدمير مدينة البليدة تماما²، ولقد أشار الرحالة الألماني " ج، أوهبنسترايت" في صفه لهذا الزلزال قائلا: " تعرضت مدينة البليدة للعديد من الزلازل العنيفة كان آخرها وأعنفها زلزال 1825م الذي كان يمحوها من الوجود وتسبب في تناقص عدد سكانها³، وكان آخر وأخطر زلزال ضرب بمدينة البليدة حيث نتج عنه دمارا عنيفا فانهارت البيوت وهلك الكثير من الناس واستمر لثمانية عشر يوما فتكررت الهزات واشتدت ليلا ونهارا⁴، ولكنها كانت في النهار قليلة، أما في الليل فهي كثيرة، بحيث أنها تكررت في الليلة من الليالي أكثر من عشر مرات وهذا في حد قول أحمد الشريف الزهار " : " هذا الذين شاهدته أن، وأما ما سمعت على لسان الأمير أنها تكررت تلك الليالي ثماني مرات، لأن الأمير بات حيا ساهرا لا ينام في الليل إلا قليلا أما بمدينة البليدة فشيء كثير نسأل الله العافية".⁵
- وقد أشرف على تنظيم عمليات الإغاثة حيث تنقل آغا العرب ورجاله إلى مدينة البليدة وأمدتها بمساعدات من خيام وأدوات لتقليب الأرض والأقوات وإيواء المتشردين ثم نظم توزيعا منتظما للمؤونة.⁶

¹ محمد زين، نظرة عن الأحوال الصحية بالجزائر العثمانية في أواخر عهد الدايات، "مجلة الواحات للبحوث، والدراسات"، قسم التاريخ جامعة الجيلالي سيدي بلعباس، 2012م، ص، 131.

² وليام شالر، المصدر السابق، ص، 36.

³ ج، أوهبنسترايت، المصدر السابق، ص، 55.

⁴ عائشة غطاس، " الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر (1700-1830)، ج1، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، دولة في التاريخ الحديث، كلية العلوم الإنسانية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2000-2001، م، ص، 67.

⁵ أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص، 155.

⁶ بن مزور خديجة، الكوارث الطبيعية والأزمات الصحية وأثرها على الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في الجزائر العثمانية (1800-1830)، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، قسم العلوم الإنسانية، الشعبة التاريخ، جامعة غرداية، 2015-2016م، ص، 40.

الفصل الأول: الكوارث الطبيعية في الجزائر خلال العهد العثماني

أمر الأغا الرعية بالبحث عن الناس الذي تحت الأنقاض فمنهم من وجد حيا وأكثر منهم من وجد ميتا فقاموا بدفن الموتى وأخبر الأمير بإعادة مدينة جديدة عن المدينة المهدامة فوافقه عن ذلك وانتشر والموضع المراد ببناءه.¹

وقد شهدت مدينة البليدة خسائر بشرية هامة أفنى المدينة بأكملها وقدرت ضحاياها ب 10 آلاف نسمة بحيث لم يكن لينجوا أحد منهم بالقرار إثر هذا الحادث الفظيع الذي أصاب هذه المدينة عاترة الحظ.²

ليختم العهد العثماني بالجزائر عام 1829م بزلزال آخر يضرب مدينة البليدة³، الذي يقول فيه أحمد الشريف الزهار: " كانت الزلزلة التي صدمت منها البليدة ومات فيها خير كثير ".⁴

مما لا شك أن هذه الزلازل أزهدت أعدادا هائلة من سكان المدينة فوصف حمدان خوجة تلك الأحداث المتردية في البلاد بقوله " فشوهت خلقة الجزائر عذراء مستحسنة فأفقرت معالم البلاد وتشوهت أحوال البلاد...".⁵

¹ أحمد الشريف الزهار، نفسه، ص، 155.

² ناصر الدين سعيدوني، الجزائر في العهد العثماني، الشيخ المهدي بوعبدلي، المؤسسة الوطنية للكتاب، وحدة الرعاية، الجزائر، 1984م، ص، 90.

³ فتيحة مسعودي، الكوارث الطبيعية في الجزائر خلال القرنين 18 و 19 بين التأثيرات السياسية والاجتماعية أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، تخصص تاريخ المغرب العربي الحديث كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية قسم العلوم الإنسانية، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف 2023-2024م، ص، 61.

⁴ أحمد الشريف الزهار، نفسه، ص، 155.

⁵ حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص، 131.

المبحث الثاني: الفيضانات floods :

تعتبر الفيضانات من الآفات والكوارث التي أضرت بالجزائر خلال العهد العثماني تسببت في حدوث مجاعات وإختفاء الأوقات وموت الكثير من الناس.

أولاً: تعريفها

تعني الفيضانات الارتفاع المناسب للمياه عن معدلها الطبيعي بشكل يفوق الطاقة الاستيعابية للقناة أو المجرى، فتتجاوز الضفاف وتغمر المناطق المحيطة بالمجرى والتي تقع ضمن وادي النهر، وقد تكون عالية تعمل على غمر مساحات واسعة من الأراضي المحيطة بالنهر فيؤدي إلى غرق المدن والقرى والمزارع والطرق وكل ما يقع ضمن نطاق التأثير فيتسبب في حدوث خسائر مادية وبشرية كبيرة.¹

ثانياً: أسباب حدوثها:

لقد مرت على الجزائر عدة فيضانات لا سيما في أواخر العهد العثماني تلك التي تميزت بفسادها خطرها خلال السنوات 1791م-1812م-1816م وكانت تحدث بسبب اشتداد الجفاف لفترة طويلة وبعدها تهطل الأمطار فتحدث فيضانات مفاجئة.²

تعتبر الفيضانات والعواصف من أخطر الكوارث الطبيعية نتيجة لهذا تضررت الأوضاع الاقتصادية للجزائر مما أدى إلى تشتت الكثير من سكانها وهلاكهم³ فاشتدت الضائقة الاقتصادية بفعل غلاء الأسعار وشح الأوقات واتلاف المزروعات وبذلك تناقص عدد السكان

¹ خلف حسين علي الدليمي، المرجع السابق، ص، 188.

² سمية العيد، الكوارث والأوبئة ودورها في اضعاف الحكم العثماني في الجزائر (1798م-1830م)، مذكرة ماستر، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، تخصص تاريخ الوطن العربي والمعاصر، قسم العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2018-2019م، ص، 25.

³ توفيق دحماني، "الأوضاع الصحية والكوارث الطبيعية في الجزائر خلال عشية الاحتلال"، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية"، ع07، الجزائر، 2013م، ص، 03.

الفصل الأول: الكوارث الطبيعية في الجزائر خلال العهد العثماني

فبقيت مساحات كثيرة من الأراضي الزراعية غير مستغلة فتحول جزء من هذه الملكيات إلى مؤسسات الأوقاف.¹

فقد شهدت البلاد العديد من الفيضانات والعواصف البحرية التي التهمت مساحات كبيرة جدا مثل سهل متيجة وأدت إلى تخريب المنازل، ومن بينها فيضان 1673م وفيضان 1694م مما أدى إلى اتلاف السفن الراسية.²

مما نتج عن حدوث الفيضانات ارتفاع عدد الفقراء وتشردهم في الشوارع وفجأة الكثير منهم جوعا وبردا³، كما أدت إلى تدمير السكان نتيجة لانعدام الأمن وتدهور الأوضاع السياسية والاجتماعية بصفة عامة.⁴

¹ فتيحة مسعودي، المرجع السابق، ص، 64.

² جليل بن عتو، زهاد قوداري، المرجع السابق، ص، 629.

³ سمية العيد، المرجع السابق، ص، 25.

⁴ فتيحة مسعودي، المرجع السابق، ص، 64.

المبحث الثالث: الجفاف (Drought)

شهدت الجزائر خلال العهد العثماني أزمات طبيعية شكلت تهديدا مباشرا للسكان مما زاد في انتشار الفقر والمجاعات وكان الجفاف من أكثرها قسوة وتأثيرا على الاستقرار الاجتماعي والاقتصادي، حيث تراجع إنتاج المحاصيل الزراعية خاصة الحبوب، (القمح) التي كانت تشكل الغذاء الأساسي للسكان.

أولا: تعريفه

- (أ): لغة: ما جف من الشيء تجففه ما يبس من النبات جفوا وجفافا.¹
- (ب): اصطلاحا: يعتبر الجفاف أحد مكونات القحولة **Aridity** التي تهيمن على المظهر الطبيعي للأراضي في كافة أجزاء العالم، وكذلك تعتبر القحولة من أهم مكونات مناخ الأراضي الجافة وشبه الجافة، ويعتبر الجفاف ظاهرة طبيعية بالنسبة للمناخ الذي يتميز بتغيرات كبيرة ونتيجة لتذبذب تساقط الأمطار.²

ثانيا: أسبابه

يتسبب الجفاف في اضطراب التساقط وانقطاع الأمطار في بعض الفترات لمدة قد تستغرق الموسم الفلاحي كله، وإن كان ذلك بالنظر إلى مواصفات المناخ المتوسطي السائد بالجزائر الشمالية ظاهرة طبيعية³، فإن السنة الجافة تفصل سنتين رطبتين أو أكثر أو العكس، فالسنة الممطرة تعني المحصول بينما السنة الجافة تعني المجاعة، كما أن نقص الامطار

¹ المجد الدين فيروزآبادي، القاموس المحيط، تح، أنس محمد الشامي، زكرياء جابر أحمد، دار الحديث، مج1، القاهرة، 2008م، ص، 1290.

² رشيد حفيان، الكوارث الطبيعية وآثارها في الجزائر خلال العهد العثماني، أطروحة دكتوراه، في التاريخ الحديث المعاصر، قسم العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة معسكر، 2016م، ص، 47.

³ ناصر الدين سعيدوني، "دراسات تاريخية في الملكية والوقف والحباية (الفترة الحديثة)"، دار الغرب الإسلامي للنشر والتوزيع، بيروت، د، ت، ص، 101.

الفصل الأول: الكوارث الطبيعية في الجزائر خلال العهد العثماني

تكون في شهر مارس وأفريل يكفي لجعل المحصول رديئا وإذا لم يتحسن الوضع خلال عام أو عامين، فيتسبب الجفاف حتما في نقص الغذاء.¹

وفي مثل هذه الظروف المناخية المتحكمة في التساقط حيث تصبح المحاصيل الزراعية تحت رحمة المياه المتساقطة في السماء، فإذا نزلت الأمطار ساد الرخاء وكانت المواسم وإذا انقطعت شحّ المردود وأصبحت المواسم سيئة وترتب عنها في هذه الحالة قلة المحاصيل وارتفاع الأسعار وحلول المجاعة وانتشار الأمراض² وارتفاع أسعار المواد الغذائية في الأسواق بحيث يقام بيع الصاع الواحد من القمح بثمانية وعشرين فرنكا.³

ثالثا: مراحل الجفاف

- سنة 1661-1663م: تعرضت البلاد إلى فترة جفاف شديدة دامت سنتين كان من تبعاتها الطبيعية غزو الجراد الهائل⁴، كما كانت عواقب الجفاف وخيمة على المجتمع الجزائري فقد تسببت في حدوث المجاعات المهلكة التي أدت إلى هلاك كثير من الناس.⁵

- 1778-1784م: فقد اضطر الفلاحون إلى التحول عن الحقول بعد أن شح المطر لعشرية كاملة من السنتين (1770-1780م) حيث أشار ناصر الدين سعيدوني في حد قوله: " أن الفلاح بمقاطعة الجزائر مثله مثل الفلاحين باقي الأقاليم الجزائرية كان في قوته اليومي ونشاطه الفلاحي الموسمي تحت رحمة التقلبات المناخية التي لا يمكن التحكم فيها أو توقعها، فكثيرا ما كان ضحية تعاقب تكرر ظواهر الجفاف، وما قد يعقبها في بعض الأحيان من فيضانات مفاجئة.⁶

¹ ناصر الدين سعيدوني، الحياة الريفية بإقليم مدينة الجزائر (دار السلطان)، أواخر العهد العثماني (1791-1830م)، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، د، ت، ص، 324.

² ناصر الدين سعيدوني، دراسات تاريخية في الملكية والوقف والجباية، ص، 102.

³ أرزقي شويتام، نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهياره (1800-1830م)، ط1، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2011م، ص، 61.

⁴ أمين محرز، المرجع السابق، ص، 108.

⁵ ناصر الدين سعيدوني، الجزائر في العهد العثماني، المرجع السابق، ص، 90.

⁶ ناصر الدين سعيدوني، دراسات تاريخية في الملكية والوقف والجباية، المرجع السابق، ص، 98.

الفصل الأول: الكوارث الطبيعية في الجزائر خلال العهد العثماني

- وقد تعاقب الجفاف على مدينة الجزائر بشكل تكراري وكان ذلك في السنوات 1804م-1805م-1814م-1815م¹.
- وتعتبر سنتي 1800-1804م أكثر السنوات اشتدادا للجفاف.²
- ولعل من أخطر موجات الجفاف التي ضربت الجزائر كانت سنة 1814م التي أدت إلى انتشار المجاعة المروعة التي عرفت الجزائر عام 1815م، وقبل ولاية حسين باي، استغل الجفاف مرة أخرى وكان ذلك في سنة 1816م فلم تمطر السماء وعلى أثره اختفت الحبوب في الأسواق وظهر الغلاء فحصلت للناس شدة³ ثم تلتها موجة أخرى وقعت سنة 1817م الأمر الذي حال دون انتعاش الأحوال الزراعية بحيث اضطر الداي إلى دعوة العلماء وأهل الخير إلى تنظيم صلوات الاستسقاء في مدينة الجزائر يوم 16 أبريل 1818م ورغم تجدد سقوط الأمطار إلا أن الأوضاع الزراعية، بما فيها الإنتاج الفلاحي عرف تراجعا كبيرا⁴، حيث كانت فترات الجفاف دورية فكان مصحوبا بانتشار الأوبئة وإتلاف المزروعات فقد كانت الفلاحة تعاني أيضا من قساوة الطبيعة.⁵
- ففي سنة 1819م: تكررت ظواهر الجفاف حيث أصيبت البلاد بنقص كبير في الحبوب مما جعلها تستورد كميات كبيرة منه من الخارج لسد حاجيات البلاد⁶، فحدوثه أدى إلى زيادة مصاعب الجزائر الداخلية في ذلك موت الآلاف من الناس وانتشار الفقر والبؤس وقلة المون والمحصولات الزراعية مما نتج عن ذلك انتشار الغضب والتدمر على المستوى الشعبي.⁷

¹ عائشة غطاس، المرجع السابق، ص، 86.

² ناصر الدين سعيدوني، فحص مدينة الجزائر (نوعية الحياة الاقتصادية والاجتماعية عشية الاحتلال)، "مجلة الدراسات التاريخية"، ع1، 1986م، ص، 93

³ فتيحة مسعودي، المرجع السابق، ص، 67.

⁴ ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص، 98.

⁵ صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي (1514-1830)، دار هومة، الجزائر، 2012، ص، 336.

⁶ عائشة غطاس، المرجع السابق، ص، 86

⁷ يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر (الجزائر الحديثة)، ج، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م، ص، 50.

المبحث الرابع: المجاعة famine

شهدت الجزائر خلال العهد العثماني في الفترة الممتدة من منتصف القرن السادس عشر الميلادي العديد من الكوارث والأزمات من بينها المجاعة التي كانت تظهر بين الحين والآخر نتيجة لعوامل طبيعية متعددة منها الجفاف والأوبئة والحروب فقد أدت إلى معاناة شديدة تجلت في تدهور الأوضاع المعيشية والصحية وتراجع النشاط الزراعي والتجاري مما أثرت سلبا على البلاد والعباد.

أولاً: تعريف المجاعة

(أ) لغة: فالمجاعة مفعلة من الجوع ومن الفعل جاع يجوع أي يضطر إلى الجوع، منع عنه القوت فجاع.

فالجوع: هو الاضطرار إلى الأكل ضد الشبع ويقال جوعان: الذي يشعر بالحاجة إلى الأكل وهي جوعى، جمع جياع وجوع.¹

ويطلق عليها أيضا كلمة مسغبة: فيقال رجل ساغب أي جوعان والسبغة بمعنى الجوع² وقد جاء في قوله تعالى: " أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ"³

(ب) : إصطلاحا: فقد إقترن مصطلح المجاعة بحالة عجز الفرد والجماعة على توفير الحد الأدنى من الطعام والشراب وقد صبغ هذا اللفظ بصبغة دينية تناولتها الكتب المناقبية بالذكر فعرف بلفظ المسغبة أي بمعنى القحط والجوع الشديد.⁴

¹ خليل الجر، المعجم العربي الحديث، تح، محمد خليل باشا، هاني أبو مصلح، ط 2، مكتبة لاروس للنشر والتوزيع، باريس، 1973م، ص، 414

² نورالدين بعكاك، المجاعات والأوبئة في تلمسان الزبانية من خلال النوازل الفقهية، المؤتمر الدولي بعنوان: الأوبئة والمجاعات في الوطن العربي عبر العصور، ج1، المركز الديمقراطي للدراسات الإستراتيجية والسياسية والإقتصادية، برلين، ألمانيا، 2021م، ص، 142

³ سورة البلد، قرآن كريم، الآية، 14

⁴ نور الدين بعكاك، المرجع السابق، ص، 142.

ثانيا: مراحل ظهور المجاعة

1. مراحل ظهور المجاعة في الجزائر في منتصف القرن 16م:

- في سنة (1578-1580م): ظهرت المجاعة في الجزائر فاجتاحت البلاد ثلاث سنوات ففي يوم 24 يونيو 1578م تخلى ستون تركيا عن زوجاتهم لعدم قدرتهم على إطعامهن¹، وقد ذكر هايدو "Haedo": " أنه من 17 جانفي إلى 17 فيفري 1580م مات خمسة آلاف وستمائة وستة وخمسون (5656) من العرب جوعا في شوارع المدينة²، وفي سنة 1592م حدثت مجاعة كبيرة في الجزائر واشتدت وطأتها على السكان.³

2. مراحل ظهور المجاعة في الجزائر خلال القرنين 17 و18م:

لقد تعددت المجاعات في الكثير من الأحيان من خلال مرحلة زمنية والتي أثرت على النمو الديموغرافي لسكانة الجزائر فكانت أخطر من الحروب، ففي سنتي 1611م و1612م عمت مجاعة مروعة لدرجة أن الصحف الفرنسية تحدثت عنها كون الجزائر لم يعد بها ماء ولا مؤن، فأمر الديوان المورسكيين الذين لجأوا إلى المدينة بمغادرتها وأمهلهم مدة ثلاثة أيام كما حدثت مجاعة سنة 1620م واستمرت إلى عام 1629م فكانت شديدة ورهيبه حيث بقي عدد السكان مائتي ألف نسمة.⁴

- 1643-1644م: لقد تعرض سكان بايليك قسنطينة إلى مجاعة رهيبه، وهذا ما أشار إليه صالح العنتري: "... في زمان ولاية بعض البايات ممن تقدم صالح باي⁵ بمدة تقرب

¹ Jean, Marchika, le peste en Afrique septentrional, Histoire de la peste, en Algérie de 1363 a 1830, Jules Carbonel, Alger, 1927, p34.

² Haedo Fray diego, Histoire des rois d'Alger, traduite de H.D de Grammont, Alger, 1881, p178.

³ J, Marchika, op, cit, p35.

⁴ Ibid, pp, 39.37.

⁵ صالح باي: أحد بايات بايلك الشرق، ولد في أزميز بالأناضول سنة 1725م، جاء للجزائر سنة 1741م ولم يتجاوز حينذاك 16 عاما، تولى باي على مدينة قسنطينة مدة 22 سنة تقريبا، وكان صالح باي الحاكم الأكثر لفتا للانتباه بين حكام قسنطينة كان نشيطا ومحاربا وإداريا، لمزيد ينظر: صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي، المرجع السابق، ص 176-177.

الفصل الأول: الكوارث الطبيعية في الجزائر خلال العهد العثماني

- نحو مائة وثلاثين سنة (130) سنة وأزيد من ذلك وقعت مسغبة هائلة بأهل مدينة قسنطينة ووطنها وارتفع سعر الحبوب فبيع الصاع الواحد من القمح بخمسة أريالات سكة الوقت، إلى أن صار الناس يطحنون الحبوب في المطاحن داخل الدكاكين الموجودة في بيوتهم وفي غيرها من الأماكن المختلطة خفية ويسمون ذلك المجاعة بعام "قرامون"¹.
- 1682-1683م: فقد أصابت مدينة الجزائر مجاعة كبرى فوقت كان الوباء منتشرًا وتلاه قحط شديد فارتفعت الأسعار ثلاث أضعاف وخيمت المجاعة فهاجر على إثر ذلك عدد كبير من سكان، المدينة نحو الأرياف القريبة طلبًا للقوى وهربًا من الطاعون.²
- 1702-1708م: انتشرت المجاعة بسبب عدم كفاية المحاصيل الزراعية³، وكانت شديدة حيث أشار "دوغرامون" "De Grammont" إلى أن الجفاف والغزوات كانت تجلب المجاعة وأحيانًا كانت تصل سفينة مصابة من تونس وكان لوم الحكام الذين كانوا يهملون من اتخاذهم تدابير الوقاية اللازمة والنظافة⁴، وفي سنة 1738م ضعفت المحاصيل الزراعية ضعفت المحاصيل الزراعية فوق قحط شديد كان سببه غزو الجراد الذي دمر المنطقة وألحق أضرار كبيرة بالإنتاج⁵، وكما أوردت بعض المصادر التاريخية أكبر المجاعات التي تعرضت لها البلاد الجزائرية مجاعة عام 1752م التي استمرت أربع سنوات وأودت بحياة 1700 شخص في ظرف شهر واحد.⁶
- 1777-1782م: (أزمة القرن الكبرى): وكما يمثلها كتاب الحوليات والتقاليد الشفهية على أنها من أشد المجاعات خطورة في القرن 18م في كامل الأقطار في تولية محمد بن عثمان باي الغرب وقعت مسغبة عظيمة حيث أكل الناس الميتة والدم ولحوم بعضهم بعضًا.

¹ صالح العنتري، مجاعات قسنطينة، تح وتق، رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974م، ص، 45.

² D.Grammont.op.cit.p250.

³ J.Marchika.op.cit.p73.

⁴ D.Grammont.op.cit.p274.

⁵ J.Marchika.op.cit.p73

⁶ جليل بن عتو، زهاد قوراري، المرجع السابق، ص، 648.

الفصل الأول: الكوارث الطبيعية في الجزائر خلال العهد العثماني

أما ابن أبي الضياف الذي وصف المجاعة في تونس وموقف الباي منها في سنة (1778-1779م) التي فيها هلك الحق والكراع وانتشر الغناء الماشية ووقعت الموت من أهل المدن والقرى والبوادي.¹

كما تحدثت المصادر المغربية عن هذه المجاعة فوصفتها بالمجاعة الكبيرة وقدمت عنها فصولا رهيبية حيث تواصلت بلا انقطاع طيلة سبع سنين (1776-1782م).²

- 1786-1794م: ذكر عبد الرحمن الجيلالي أن الجزائر كانت تنتهي وتستريح من ويلات الحرب المحزنة حتى فاجأها الجذب والقحط بكامل البلاد وأصبحت تعاني من أزمة مجاعة حادة وخانقة ارتفعت فيها الأسعار وغلاء المعيشة غلاءً فاحشاً³ فقد تسببت في دمار كبير ألحق بمدينة وهران فقام الباي محمد الكبير⁴ بشراء القمح من إيطاليا وفرنسا وإسبانيا ويسلمه وفقاً لأوامره إلى أسواق حكومته وأضاف اعفاءً عن العشور مما يعود بالنفع على جميع القبائل فقد كان إخلاصه الذي أظهره أثناء حدوث المجاعة الرهيبية التي دمرت المدينة وأهلكت سكانها⁵، مما أدى إلى وفاة 100 شخص يومياً فاضطر سلطان البايك إلى غلق الموانئ ووقف الاتصالات مع الخارج.⁶

¹ المنور مروش، دراسات عن الجزائر في العهد العثماني (العملة، الأسعار، المداخيل)، ج1، دار القصة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م، ص، 147.

² محمد الأمين بزاز، تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب في القرنين 18 و19، رسائل وأطروحات رقم 18، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1992م، ص، 69.

³ عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج3، ط7، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1994م، ص 261.

⁴ الباي محمد الكبير: هو محمد بن عثمان الكردي المكنى أبو عثمان ولقبه الكبير فكان شجاعاً وصادقاً وذكياً فقام بتعيين قائداً عن الأيالة الغربية وأظهر براعته في الحكم فكان حسن التسيير كما منح إدارة جميع الناحية الشرقية والغربية سنة (1183هـ)، للمزيد ينظر، أحمد بن هطال التلمساني، رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي الجزائري، تح، وتق أمحمد بن عبد الكريم، ط1، عالم الكتب للنشر والتوزيع، القاهرة، 1969م، ص، 16.

⁵ Fey, Henri, op, cit, p 270.

⁶ فلة موساوي القشاعي، النظام الضريبي بالريف القسنطيني أواخر العهد العثماني (1771-1837م)، مذكرة ماجستير في التاريخ، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 1989م-1990م، ص، 29.

الفصل الأول: الكوارث الطبيعية في الجزائر خلال العهد العثماني

وهذا ما أشار إليه "مارشيكاً" "Marchika" في قوله: " بعد الزلزال المروع الذي أصاب مدينة وهران عام 1790م وألحق بها أضرار كثيرة وقضى على الكثير من الخلق هاقد ألحقها مجاعة سنة 1793م حيث اضطر أهل المدينة إلى أكل الموتى وأكل لحم الانسان ولحم الخنزير.¹

وهناك مجاعة وقعت بالصحراء وأدت إلى سوء الأحوال من الجوع والعراء بسبب قح الأرض وحذب الصحراء.²

ثالثاً: مراحل ظهور المجاعة في الجزائر في مطلع القرن 19م

- 1800م: وقد ذكر حمدان خوجة في قوله: " أصيبت الجزائر مجاعة كبرى ووقعت الحاجة إلى الأقوات فأمر الداى مصطفى باشا³ لتموين البلاد بالذهاب إلى موانئ البحر الأسود لشراء القمح وقد بيع ذلك القمح بثمانية وعشرين فرنكا للصاع الواحد وعلى الرغم من ذلك لا بد من تنصيب الجنود على باب كل مخزن".⁴

- 1804-1805م: حيث قال أحمد الشريف الزهار: " وأما القمح فبيع بأربع بجة لصاع⁵ وقد حضرت أنا سنوات الغلاء فوصل القمح عندنا في الجزائر سنة 1219هـ/1804م بخمسة عشر بجة، فوقعت مجاعة رهيبة أضرت بأهل قسنطينة ودام الحال عليهم مدة ثلاث سنين متوالية وكان الوالي عليها عثمان باي⁶ فقد أصابت الجائحة الزرع في جهات

¹ J.Marchika, op, cit, p 145.

² إبراهيم محمد الساسي العوامر، الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، تع الجيلاني بن إبراهيم العوامر، تالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007م، ص، 280.

³ مصطفى باشا: هو مصطفى بن إبراهيم الذي تقلد الحكم بعد حسن باشا سنة (1212هـ-1798م) أيام السلطان العثماني سليم الثالث، وهو من أشهر دايات الجزائر وكان مغرماً بالبناء فشيّد عدة قصور، كانت فترة حكمه تمتاز بمحاولات إصلاحية في الدولة العثمانية خاصة في الجيش، للمزيد ينظر، نور الدين عبد القادر، صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي، مطبعة البعث، قسنطينة، 1965م، ص، 122.

⁴ محمد بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص، 122.

⁵ بجة الصاع: تعني الريال الذي يزن 10 أقراط وهو مقدار دور ونصف اسبانية في ذلك الوقت، للمزيد ينظر، أحمد الشريف الزهار، ص ص، 56، 31.

⁶ عثمان باي بن محمد الكبير: باي وهران، امتد حكمه بين سنة (1803-1804م)، وهو كرجلي من أولاد قارة، لف وهران 5 سنوات وعين بايالك الشرق قسنطينة أبناءه، ابن زكري، باش سيار وباش شاوش، للمزيد ينظر، أحمد بن المبارك بن

الفصل الأول: الكوارث الطبيعية في الجزائر خلال العهد العثماني

كثيرة سيما ناحية القبلة وأعراشها كالحراكتة والنمامشة وأولاد يحي بن طالب وغيرهم لم تنجو ذلك إلا ناحية السواحل فإن زرعها لم يقع فيه ضرر كبير.¹

وهذا ما لخصه صالح العنتري بقوله: " إن سبب القحط مركب من أمرين أحدهما نزول الجائحة في السنة الأولى وبقيت مستمرة في السنتين بعدها والثاني أعظمهما ترادف الأفتان والأهوال التي لا تطمئن نفوس الناس فيها للحراثة..."²

فتعتبر فترة 1805م واحدة من أشد المجاعات فقد كانت نتيجة لتراكم عدة عوامل طبيعية التي كانت سببها الجفاف فقد أشرف الضعفاء على الخلاء فتشتتوا عن منازلهم وتفرقوا بسبب الهول الواقع في وطنهم مع شر المصائب التي حلت بالمدينة فيبس الزرع وعدم الحرث ونزول القحط حتى صاروا يقتاتون الدم والميتة وغير ذلك مما لا يباح اقتياته.³

- 1815-1816م: يذكر أحمد الشريف الزهار أنه: " في هذه السنة جاء الجراد أتى طائرا ثم غرس وأقام في الأرض ثم خرج وأكل الزرع والأشجار والثمار ووقع الغلاء في تلك السنة فأعطى الأمير القمح لجميع الخبازين وجعل له سعرا على سعر أيام الرخاء وأمر الخبازين أن يقوموا بعمل ما يلزم للبلاد حيث صار الناس يقتتلون على ذلك الخبز"⁴، وقد أدت هذه المجاعة إلى هلاك الكثير من السكان وانعدمت فيها الفلاحة وزالت نباتات الحقول من جراء أسراب كثيرة من الجراد.⁵

الطار، تاريخ بلد قسنطينة (1790-1870)، تح وتو وتو عبد الله حمادي، ط1، دار الفائر، للطباعة والنشر والتوزيع، قسنطينة، 2011م، ص، 112.

¹ محمد صالح العنتري، المصدر السابق، ص ص، 27، 28.

² محمد صالح العنتري، المصدر السابق، ص، 58.

³ صالح عباد، المرجع السابق، ص، 201.

⁴ أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص، 117.

⁵ ناصر الدين سعيدوني، الجزائر في العهد العثماني، المرجع السابق، ص، 90.

الفصل الأول: الكوارث الطبيعية في الجزائر خلال العهد العثماني

- 1819-1822م: عمت المجاعات ببايلك الشرق الذي عانى من البؤس والحرمان وقد أدت هذه الأوضاع الصحية المتردية إلى ارتفاع نسبة الشباب بالنسبة لمجموع السكان والتي كانت أعمارهم تقل عن 18 سنة.¹

¹ فلة موساوي القشاعي، المرجع السابق، ص، 29.

الفصل الثاني:

الأوبئة في الجزائر خلال العهد العثماني

المبحث الأول: الطاعون Plague

عرفت الجزائر خلال العهد العثماني في القرن السادس عشر الميلادي وبداية القرن التاسع عشر الميلادي ترديا في الأوضاع الصحية مما أدى إلى إنتشار الأوبئة الخطيرة من أهمها وباء الطاعون والجذري والكوليرا الذي أثر تأثيرا كبيرا على المجتمع مما خلق حالة من الخوف والرعب في المدن والقرى كما أثروا على إنهيار النشاط الاقتصادي ونقص حاد في اليد العاملة لاسيما الزراعة والحرف.

أولاً: تعريف الوباء

أ. لغة: (قوله إن الوباء وقع) مهمورا مقصورا وجاء ممدودا والقصر أشهر وهو المرض الكثير العام المسرع، ومنه أرض وبئة أي كثيرة المرض.¹

ب. اصطلاحا: فهو مرض عام مشترك بين الانسان والحيوان تسببه بكتيريا وفيروسات تختلف حسب نوع المرض الوبائي وتكون سريعة الانتشار من الشخص المصاب إلى الشخص السليم عن طريق عدة وسائط أهمها: الماء والهواء وبعض الحيوانات القارضة كالجرذان والكلاب البرية والسنجاب والأرانب.²

ثانياً: تعريف الطاعون

أ. لغة: الطاعون، الوباء، جمع طواعين ويعني أصابهم الطاعون.

ب. اصطلاحا: " الطاعون مرض وبائي يصيب الفئران وتنقله البراغيث، إلى الفئران ثم الانسان. - وفي الموسوعة البريطانية: " الطاعون مصطلح كان يطلق قديما على أي مرض واسع الانتشار مسببا الموت الجماعي لكنه الآن محصورا في حمى معدية من نوع خاص تسببه البكتيريا **Pasteurelle Pestis** التي ينقلها برغوث الفئران وينتقل إلى الإنسان.³

¹ الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، هدي الساري (مقدمة فتح الباري)، مكتبة السلفية الأولى، جامعة الشريعة الرياض، السعودية 2015م، ص، 203.

² مجد الدين بن يعقوب الفيروز آبادي، المصدر السابق، ص، 1007.

³ الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، بذل الماعون في فضل الطاعون، تح، أحمد عصام عبد القادر، دار العاصمة، الرياض، السعودية، 2005، ص، 22.

ثالثا: أنواع الطاعون

1. الطاعون اللمفاوي الورمي الدبلي: (Bubonic): سمي بهذا الاسم نظرا لظهور خراج دملة أو دبيلة حمراء أو التهابية تتركز تحت الابط أو ثنية الفخذ وفي الرقبة وراء الأذن¹، حيث يصاب المريض بالهلوسة وفتور في الشعور أو الهذيان وترتفع درجة الحرارة بسرعة إلى 40⁰ درجة مما يؤدي إلى موت الفجأة².

2. الطاعون الرئوي: وهو الذي تصاب فيه الرئتان على نطاق واسع ويبدأ بالتهاب شعبي رئوي ثم يتبعه فوراً استسقاء الرئتين أي امتلاؤهما بالسائل حيث يفرق عروقه ويهتكها أي أنه يعتبر من أشد أنواع الطواعين فتكا بالناس على الإطلاق وتحدث الوفاة خلال ثلاثة أو أربعة أيام.

3. الطاعون الإنتامي الدموي: (Septicemic): وهو قروح حيث تغزو فيه البكتيريا تيار الدم فتحدث الوفاة خلال أربع وعشرين ساعة ومن أعراضه انهيار الجسد وتلف الدماغ³.
رابعا: أسباب انتشار الطاعون في الجزائر:

1. العامل الطبيعي:

أ. المناخ: من المعلوم أن التغيرات المناخية تؤثر تأثيرا واضحا على الوباء فرطوبة المناخ بالجزائر تساعد على تكاثر البراغيث المعدية التي تعتبر السبب الأساسي في ظهور وانتشار وباء الطاعون ولهذا يتضاءل أو يخمد عندما تنخفض الرطوبة⁴ كما أن التذبذب

¹ يوسف صرهودة، سياسة المجتمع في مواجهة الأوبئة والمجاعات في ايلالة الجزائر خلال القرن 18، 19م، "المجلة التاريخية الجزائرية"، مج6، ع1، جامعة عناية، الجزائر، أفريل، 2022م، ص، 647.

² Jean, laumonuiet, la peste Histoire et traitemet, Editeur, Henri Gautie, " Bibliothèque Scientifique des école et des familles", N69, paris 1900, p 12.

³ الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، بذل الماعون في فضل الطاعون، المصدر السابق، ص، 24.

⁴ فلة موساوي القشاعي، وباء الطاعون في الجزائر العثمانية دورانه وسلم حدثه وطرق انتقاله، مجلة الدراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج1، ع1، الجزائر، 2001م، ص، 142.

في تساقط الأمطار يؤدي إلى حدوث أمراض وبائية، لما أن فصل الصيف تكثر فيه الطواعين.¹

خامسا: طرق انتشار الطاعون في الجزائر

أ. المسالك البرية: كانت الأوبئة تنتقل إلى الجزائر من طرف الحجاج والجنود والتجار القادمين من المشرق²، حيث كان خط سير التجار والحجاج والعائدين من الأماكن المقدسة بالحجاز عبر مدينة القاهرة حيث تختلط فيها قوافل المعاربة بالقوافل المصرية³، وتعد المسالك البرية أبرز طرق انتقال الوباء ودخوله إلى الجزائر نتيجة احتكاك المسلمين في موسم الحج مما أدى إلى انتقال العدوى الوبائية من فئة إلى فئة أخرى وهذا ما أكد عليه "غيون" "Gyon" في قوله: " أنه قدم من جموع الحجاج من مكة المكرمة".⁴

ب. المسالك البحرية: إن أغلبية الأوبئة التي تعرضت لها الجزائر في العهد العثماني كان مصدرها موانئ تركيا ومصر التي كانت مرتبطة بالموانئ الجزائرية ونظرا لسهولة انتقال عدوى الطاعون عن طريق البحر المعبر عنه بالعدوى البحرية فكانت الجزائر مقصد الزوار القادمين أحيانا من مناطق مطعوننة أو مصابة بالطاعون⁵، كما يرجع انتقال العدوى وانتشار الوباء مع الأقطار المجاورة بسبب صلة الجزائر ببلدان البحر الأبيض المتوسط وعلاقتها التجارية مع دول أوروبا.⁶

ج. القوافل التجارية: تعتبر وسيلة مساعدة على نقل العدوى خاصة عندما تمر بمنطقة مصابة بالطاعون فيلتحق بها أشخاص مصابين بالطاعون فينقلون العدوى للمسافرين الآخرين ولسكان المحطات المختلفة التي تتوقف بها القافلة من بينها:

¹ سمية مزور، المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط 588-927هـ، 1520-1992م، مذكرة مقدمة لنيل شهادة

الماجستير في التاريخ الوسيط، جامعة منتوري، قسنطينة، 2008م، 2009م، ص، 12.

² أرزقي شويتم، المرجع السابق، ص، 84.

³ فلة موساوي القشاعي، المرجع السابق، ص، 143.

⁴ فتيحة مسعودي، المرجع السابق، ص، 87.

⁵ فلة موساوي القشاعي، وباء الطاعون في الجزائر العثمانية، المرجع السابق المرجع السابق، ص، 144.

⁶ الهليلي حنفي، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط1، دار الهدى للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008م، ص،

- **الملابس والأغطية:** حيث تعتبر من الأدوات الناقلة للعدوى وذلك بسبب البراغيث المعدية والملتحقة بها التي تنتشر فيها وتختبئ في نسيجها.
- **الأسواق:** بحيث تعتبر ملتقى التجار المطعونين ببعضهم البعض وذلك عن طريق تبادل البضائع فينتشر المرض منها في المدينة والريف، وهذا ما جعل الأوبئة والطاعون في الجزائر يغلب عليه الطابع الريفي، حيث كانت العدوى في الغالب تنتقل من القرى إلى الحواضر ومن الحواضر إلى البوادي.¹
- **الفرق العسكرية:** كانت تشكل هي الأخرى عاملا مساعدا على انتقال عدوى الطاعون وذلك بانتقال فرق الجند أثناء الحملات العسكرية.²

سادسا: مراحل تفشي وباء الطاعون في الجزائر خلال العهد العثماني

1. في القرن السادس عشر للميلاد: تميز القرن 16م بكونه فترة حدوث الطاعون في مناطق عديدة بالجزائر وهذا ما عبر عنه "بانزاك" "PANZAK" بقوله: " ففي سنة 1542م، استوطن الطاعون البلاد الجزائري حيث أنه ينتقل في بعض الأحيان عبر القوارض البرية فينتشر تدريجيا إلى السوق في المدينة، وقد كان مرتبطا بالأسطول الجزائري حيث وضح أنه يجب على كل قنصل اتخاذ الحيطة والحذر فلكل قائد سفينة براءة اختراع واضحة تثبت أن الميناء سليم لا يوجد به الطاعون وذلك بتطهير السفينة وركابها وبضائعها ويتم حجرها في مستشفى مغلق قبل أن تتمكن من التواصل مع السكان".³

- **وباء عام 1547م:** في ظل حكومة حسين آغا الباشا الثالث⁴ الذي حكم الجزائر ظهر وباء رهيب مدينة وهران حيث أصيب السكان بالرعب فقاموا بخلائها وإقامة مخيم خارجها

¹ فلة موساوي القشاعي، وباء الطاعون في الجزائر العثمانية، المرجع السليق، المرجع السابق، ص، 104.

² نفسه، ص، 145.

³ Daniel Panzak, la peste dans l'empire ottoman, 1700-1850, (Compten , rendu), le mantra robert ,edition peters-leuven, 1985, p 501.

⁴ حسين آغا: وهو شخصية بارزة في تاريخ الجزائر خلال القرن 16م، قاد حملة ضد الحملة الاسبانية، كان رجلا جامعا لصفات ومناقب عديدة، حقق انتصارا ساحقا باسترجاع صخرة البنيون عام 1529م، بعدد تحصينه لها، للمزيد ينظر، عائشة غطاس، الدولة الجزائر الحديثة ومؤسساتها، المكتبة الجزائرية للدراسات التاريخية، الجزائر، 2007، ص ص 26،

حيث تحدث عنها "هايدو" "Haedo" بهذه العبارات: " في طاعون يعيش في مدينة وهران أجبر الناس على العيش في الحرم الجامعي أكثر من مدينة".¹
ومع منتصف القرن السادس عشر الميلادي: (1555م-1556م): اشتدت ضربات الطاعون على سكان إيالة الجزائر فقد تعرضت مدينة البليدة والمناطق المجاورة لها بهذا الوباء والذي طال فتكه بالناس² ففي سنة 1556م إنتقل إلى الجزائر عن طريق الأسطول الذي أرسله السلطان العثماني لمساعدة صالح ريس³ في حربه ضد الاسبان وعرف هذا الوباء بانتشاره الواسع في مدينة الجزائر وانتقل إلى غرب البلاد حيث تضررت منه وهران وتلمسان وتعرضت له مختلف المناطق الواقعة على الشريط الساحلي وقد قدر عدد ضحاياه بتسعة آلاف ضحية⁴، فقد هلك ثلاث باشاوات منهم: صالح ريس الذي توفي بوباء الطاعون عن عمره 70 سنة، يوسف باشا⁵ عن عمر لا يتجاوز 26 سنة ويحي باشا⁶ الذي هو كذلك ذهب ضحية وباء الطاعون.⁷

¹ Fey Henri, op, cit, p89.

² Hedo, D, Histoire des rois, op cit, p 112.

³ صالح ريس: من أبرز رياس البحر إبان القرن 16م، تولى السلطة خلفا لحسن بن خير الدين، دامت عهده أربع سنوات 1552-1556م، ومن أهم الأحداث التي ميزت حكمه الحملة التي وجهها إلى منطقتي ورقلة وتوقرت في أوائل أكتوبر 1552م، توفي بداء الطاعون سنة 1556م، للمزيد ينظر، عائشة غطاس، الحرف والحرفيون، المرجع السابق، ص، 32.
⁴ جليل بن عتو، زهاد قوراري، المرجع السابق، ص ص، 643، 644.

⁵ يوسف باشا: هو قائد تلمسان، تميزت صفاته بالشجاعة والعاطفة وحب الناس فقد اختاره الإنكشاريين ملكا على الجزائر بعد وفاة "حسن قورصو"، وكان جد نكي ومعطاء، ويوم وفاته كان الجميع على أدمع حارة بعد أن فتكه الطاعون الذي انتشر في المدينة وضرب "يوسف باشا" في اليوم السادس من تنصيبه وخسر الكرسي وحياته، توفي عن عمر نهار 26 سنة عام 1556، للمزيد ينظر: هايدو فراي ديبغو، تاريخ ملوك الجزائر، تر، أبو لؤي عبد العزيز الأعلى دار الهدى للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م، ص، 125.

⁶ يحي باشا: تم تعيينه من طرف الإنكشاريون ملكا على الجزائر عقب وفاة يوسف باشا، دامت فترة حكمه ستة أشهر، كان رجلا شجاعا وحذرا، حيث أن فترته يموت بها الكثير جراء إصابات وباء الطاعون الذي ضرب الجزائر وتوفي بهذا الوباء، للمزيد ينظر، هايدو فراي ديبغو، المصدر نفسه، ص، 127.

⁷ Haedo, D, op cit, p 112.

- وباء عام 1572م: فقد ذكر "هايدو" "Heado" أنه ظهر وباء عظيم استمر قرابة عامين وأدى إلى هلاك أكثر من ثلث سكان البلاد.¹
- وباء 1590-1592م: حيث انتشر طاعون في الجزائر كان يقتل ما بين مائتين وخمسمائة ضحية يوميا وقد استمر هذا الوباء حتى عام 1592 حيث ظهر الطاعون المعروف بطاعون تونس والذي أعقبته مجاعة كبيرة دمرت البلاد.²
2. في القرن السابع عشر للميلاد (ق 17م):
- وباء 1601م-1603م: سادت هذه الفترة الأوبئة الطاعونية من صنف الطاعون الدبلي³، وفي سنة 1603م حصل وباء في قسنطينة وقتل خلقا كثيرا ثم حصل قحط وجفاف تواصل مدة تسع سنوات كاملة أدى إلى حصول مجاعات حادة خلفت ضحايا كثيرة.⁴
- وباء 1611م: ظهر طاعون مرة أخرى وأودى بحياة ضحايا في جميع أنحاء شمال إفريقيا ودام مدة 7 سنوات.⁵
- وباء 1620-1622م: انتشر المرض في جميع أنحاء شمال إفريقيا بدأ في المغرب في عهد عبد الله، وفي الجزائر في عهد خضر باشا⁶، وفي تونس في عهد الداوي يوسف حيث يسمى في الجزائر والمغرب "طاعون بالحبوبة الكبيرة" وفي تونس " طاعون سيدي

¹ Ibid, p 155.

² Jean, Marchika, op cit, p 35.

³ Ibid, p 36.

⁴ محمد صالح العنتري، تاريخ قسنطينة، تح، يحي بوعزيز، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م، ص، 34.

⁵ Jean, Marchika, op cit, p 38.

⁶ خضر باشا: حكم الجزائر في فترة (1589-1592) وهو ثاني باشا في عهده إزدهرت الغزوات البحرية التي نظمتها طائفة الرياس حدثت تمردات في عهده كما شهدت فترته في ظهور وباء الطاعون والمجاعة والعاصفة، للمزيد ينظر، مبارك بن محمد الهلالي الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج3، مكتبة النهضة الجزائرية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1964م، ص، 139.

بلكريس"¹، وفي سنة 1622م، حدث وباء بقسنطينة فمات به حسن باي² وخلفه مراد باي.³

- **وباء 1634م:** حدث وباء في بايلك وأدى إلى كارثة كبيرة إذ توفي في قسنطينة ثلاث علماء كبارهم: بركات بن نعمان، وعبد اللطيف المصباح، وبركات بن عبد المؤمن⁴.

- **وباء 1643م:** واصل الطاعون تدمير البلاد وأصبح هذا الوباء مستوطنا في الجزائر وتونس، حيث توفي أكثر من ثلاثين ألف نسمة وعدد كبير من العبيد في غضون بضعة أشهر.

- **وباء 1648م:** عاد الطاعون مرة أخرى ليقضي على سكان الجزائر وقسنطينة وبسكرة ولم يهدأ هذا الوباء إلى في عام 1650م، فقد أودى بحياة أناس كثيرين مما يجعل من الصعب أن ندرك كيف استطاعت مدينة الجزائر أن تبقى على قيد الحياة بعد فقد هلاك عشرة في المائة من السكان.⁵

- **وباء 1654-1666م:** ظهر الطاعون الدملي الذي دام لمدة 12 سنة فقضى على نحو ثلث من سكان مدينة الجزائر وقد أطلق عليه باسم الطاعون الكبير.⁶ وقد أشار "دوغرامون" "D.Grammant" أن هذا الوباء العظيم كان سببه عدوى السفن التجارية، حيث عانت منه الأسرى والمسيحيين معاناة شديدة فقد أغدق عليهم القنصل الرعاية

¹ Jean, Marchika, op cit, p 40.

² حسن باي: (1608-1622) في عهده تم إبرام معاهدة مضبط الحدود مع نيابة تونس عام 1614، توفي بوباء الطاعون عام 1622م بقسنطينة، للمزيد ينظر، محمد صالح، العنترى، تاريخ القسنطينة، المصدر السابق، ص، 34.

³ مراد باي: (1622-1647)، اهتم بحفظ الأمن والنظام في البايليك شارك في حملة عسكرية قرب مدينة الكاف في 17 ماي 1628، توفي بوباء الطاعون بقسنطينة، سنة 1634، للمزيد ينظر، محمد صالح العنترى، نفسه، ص، 34، 36.

⁴ نفسه، ص، 36.

⁵ Jean, Marchika, op cit, p p 191-200.

⁶ جون وولف، المصدر السابق، ص، 158.

من جميع الأنواع¹، كما مات من جرائه عشرة آلاف من الأرقاء وكانت السفن التي تأتي إلى ميناء الجزائر لا تعود.²

- وباء 1671م: ذكر "جون وولف" أن هذه الفترة تسمى "بسنة الشر" وتعني الوفيات التي تتراوح بين عشرة وعشرين في المائة من مجموع السكان³ مدينة الجزائر.

- وباء 1675م-1678م: حيث قاد الاسبان في مدينة وهران حملة استكشافية حتى أسوار مدينة تلمسان وجاء السكان الأصليون لحصارهم في ممتلكاتهم حيث استمر الحصار ثلاث سنوات وتعرض كلا الجيشين للإبادة بسبب الطاعون الذي دمر مدينة وهران.⁴

- وباء 1698م: ظهر طاعون بمدينة الجزائر واستمر لمدة أربع سنوات كان مروعا وأودى بحياة خمس وعشرين شخصا.

3. في القرن الثامن عشر ميلادي وبداية القرن التاسع عشر ميلادي:

لقد تكررت الأوبئة خلال القرن 18م وبلغ مجموع السنوات 63 سنة في مدينة الجزائر وحدها ففي سنة:

- 1738-1740م: اندلع وباء رهيب في الجزائر حيث تم إدخاله عن طريق سفينة قادمة من الإسكندرية لقد أودع بحياة ألف شخص يوميا وفي خلال الشهر الأول مات ما بين 200 إلى 400 شخص يوميا⁵ ويعتبر أخطر وباء أصاب البلاد ففي سنة 1740م من شهر يونيو أصاب ثكنات الجيش وكان يهلك أكثر ما بين 40 إلى 50 شخصا واشتدت وطأته في الشهر الأول كما كان يحصد في اليوم الواحد ما بين 300 إلى 400 نسمة ودام ثلاث سنوات متتالية.⁶

¹ De Grammont, op cit, p 203.

² عزيز سامح ألتز، المرجع السابق، ص، 377.

³ جون وولف، المصدر السابق، ص، 158.

⁴ De Grammont, op cit, p 203.

⁵ Ibid, pp, 268-297.

⁶ عائش غطاس، الحرف والحرفيون، المرجع السابق، ص، 61.

- **وباء 1752م:** حدث وباء رهيب وكان يقضي على ما يصل إلى 1700 شخص شهريا واستمر لمدة أربع سنوات كما أضافت المجاعة أهوالها وكان العبيد أكثر عرضة وكان بمدينة الجزائر¹.
- **وباء 1786م:** الطاعون الجارف فقد انتشر هذا الوباء بالمغرب انتشارا فاحشا فعم القطر التونسي وشمل الشرق الجزائري وهو ما اشتهر بين الناس يومئذ باسم "حبوبة الأمجاد" فبلغ عدد الوفيات يوميا نحو 500 نسمة.²
- **وباء 1787م:** اندلع الطاعون في الفترة الممتدة ما بين 27 أبريل إلى 14 يونيو أدى بوفاة ثمانية آلاف وخمسة وستين شخص، (224) مسيحيا و(6748) مسلما و(1093) يهوديا وانتهت فترته في نهاية شهر يوليو بعد ان أودت بحياة سبعة عشر ألف وثمانية وأربعين ضحية ولم تسلم مدينة وهران من هذا الوباء.³
- **وباء 1788م:** لقد اجتاح الوباء مدينة الجزائر حيث أدى إلى تهجير ما بين 700 إلى 800 من العبيد المسيحيين من مدينة الجزائر، وهذا ما أشار إلى فونتير دوبرادي "**Venture de paradis**" أنه يعتبر من أشرس الأوبئة فإنها سنة قاتلة حيث خلف الطاعون دمارا كبيرا كان يموت يوميا ما بين 200 إلى 240 مسلما⁴ أي ما يقدر ب 13482 مسلما من ضحايا 15793 و 1771 يهوديا و 540 مسيحيا.⁵
- **وباء 1793-1794م:** ظهر الطاعون بمدينة وهران والذي راح ضحيته عدد كبير من الناس فاضطر الباي محمد الكبير إلى الفرار إلى الخارج المدين فتوجه هو وأسرته إلى (مدرسة خنق النطاح) التي شيد مكانها مسجدا عام 1793م.⁶

¹ De Grammont, op cit, p 306.

² عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، المرجع السابق، ص، 262.

³ De Grammont, op cit, p 339.

⁴ Jean Michel venture de paradis alger au XVIII, Siècle, par Bibliothèque National de France, paris, 1898, pp 51-52.

⁵ أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص، 84.

⁶ كاميليا دغموش، حمادو بن عمر، الوضع الصحي والمعيشي البايك الغرب الجزائري، مج 10، ع2، "مجلة الحوار المتوسطي"، جوان 2019م، ص، 338.

كما أصاب مدينة الجزائر وباء شديدا عن طريق البجارة الذين قدموا من القسطنطينية وقد امتد إلى مقاطعة قسنطينة وعنابة وقد كتب السيد "كيبار" مندوب الشركة الإقليمية في عنابة أنه حوالي مائة شخص كانت تموت في الشرق الجزائري.¹

- وباء 1796م: فازداد انتشار الوباء بين الناس حتى أنه بلغ عدد المهلكين بالعاصمة إلى 14334 نسمة منهم 1774 يهوديا و613 نصرانيا، ويقال أنه نشأ من عدوى تسربت إلى الجزائر بواسطة رجل مريض يدعى "ابن سماية" قدم على ظهر مركب جاء من أرض الروم.²

- وباء 1799م: ولقد ذكر كاتشارت " أن صديقة توفي بوباء الطاعون بعدما وقع طريح الفراش بضعة أيام مما أدى إلى وفاة 155 أسيرا.³

وهذا ما ذهب إليه " غيون " "Gyon" عن الطاعون في الجزائر الذي كان يقتل ما يصل إلى 300 شخص يوميا من شهر يناير إلى سبتمبر وذلك عن طريق العدوى من داخل البلاد، حيث تم نقله من طرف الحجاج إلى وهران حيث توفي أول حاج في 23 مارس 1799م وبدأ الطاعون والذي تسبب في انتشار العدوى وقد بلغ عدد القتلى خمسة عشر في 25 مارس واستمر الوباء لمدة شهرين تقريبا، وفي شهر ماي تسبب في دمار كبير لدرجة أنه لم يكن من الممكن حصاد حقول مما أدى إلى ضعف المحاصيل الزراعية مما جعل التصدير صعبا، وفي شهر أغسطس ارتفع معدل الوفيات في الجزائر إلى 55 مسلما من ضحايا الطاعون وفي 16 أكتوبر قضى الطاعون على 7 إلى 8 أشخاص يوميا.⁴

- وباء 1804م: أضر سكان الريف بمقاطعة الجزائر (دار السلطان) وتسبب في تضاؤل الإنتاج الفلاحي بعد أن انتقلت العدوى إلى الفلاحين بالحقول والبساتين إثر أدى إلى فرار

¹ محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية للشرق الجزائري في الفترة ما بين 1792-1830م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1972م، ص، 51.

² عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، المرجع السابق، ص، 262.

³ جيمس ليندركاتشارت، مذكرات أسير الداوي كاتشارت (قتل أمريكا في المغرب)، تر، إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982م، ص، 113.

⁴ Jean, Marchika, op cit, p 149.

عدد كبير من سكان مدينة الجزائر إليها، أما داخل مدينة الجزائر فإن عدد الوفيات من جراء هذا الوباء فقد قدر بما لا يقل عن 1200 نسمة.¹

- **وباء 1817-1818م:** في عهد الداوي علي خوجة² فقد ظهر الوباء ومات 1500 شخص مما أدى إلى الخراب والدمار في المدينة³ حيث كان الطاعون يتسرب إلى الجزائر في غالب الأحيان عن طريق البحر لذا نجد أول من كان يصاب به هم عمال الموانئ وبعد ذلك ينتشر في بقية أنحاء البلاد، فقد شمل الوباء معظم الدول المطلة على البحر الأبيض المتوسط وذلك لكثرة الاتصالات فيما بينهم⁴.

كما أصاب الطاعون الشرق الجزائر وانتشر في كامل أنحاءه بسبب التنقلات وسلبية موقف السلطات اتجاه المصابين حيث منع الناس في نواحي عنابة من العمل وزهدهم في الحياة وكان في مدينة قسنطينة يحصد يوميا أرواح حوالي ثلاثين شخصا كما جعل سكان مدينة بجاية وجيجل يهربون إلى قمم الجبال امام اشتداد المرض⁵، فقد هلك الداوي علي خوجة بوباء الطاعون في سنة 1818 كما تميز عهده بالمذلة وسوء حظ الإيالة.⁶ أنظر الملحق رقم(1)

- **وباء 1822م:** آخر وباء عرفته الجزائر والذي أدى إلى هلاك عدد كبير من الأهالي إذ قدر عدد الضحايا ب 20 ألف ضحية فقد عم أرجاء الإيالة كما وصل على مشارف الصحراء خلفا عددا كبيرا من الوفيات، ففي مدينة عنابة تسبب في إخلاء ثلثي المنازل.⁷

¹ ناصر الدين سعيدوني، دراسات تاريخية في الملكية الوقف والجباية، دار الغرب الإسلامي للنشر والتوزيع، بيروت، 2001م، ص، 111.

² علي خوجة باشا، 1232-1233هـ: حكم إيالة الجزائر لمدة ستة أشهر من سنة 1817م إلى 1 مارس 1818م والتي كانت يوم وفاته بوباء الطاعون للمزيد ينظر، نور الدين عبد القادر، المرجع السابق، ص، 125.

³ Lemnouar, Merouche, Recherche sur l'algerie à l'époque ottomane (1520-1830), Editions bouchene, paris, 2002, p 229.

⁴ أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص، 85.

⁵ محمد العربي الزبيري، المرجع السابق، ص، 53، 54.

⁶ خير الدين سعدي، المجاعات والأوبئة في الجزائر خلال العهد العثماني (1500-1830م)، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة 8ماي 1945، قالمه، 2018-2019م، ص، 325.

⁷ أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص، 84.

- وأخيرا قد اختفى الباء بصفة نهائية من الجزائر والأقطار المغاربية عامة وفي الفترة الممتدة من 1823 إلى 1830 فقد تميزت من خلالها الجزائر بوضع صحي ممتاز، وقد تدلنا المراسلة القنصلية وتقارير الضباط الفرنسيين على الأحوال الصحية الجيدة بالبلاد، إذ أن جل الرسائل الدبلوماسية تثبت ذلك.¹

¹ فلة موساوي القشاعي، الصحة والسكان في الجزائر، المرجع السابق، ص، 108.

المبحث الثاني: الجدري: smallpox

يعد وباء الجدري من أخطر الأوبئة فقد عرفت الجزائر موجات متكررة من هذا الوباء إذ تميز بانتشاره السريع بين السكان.

أولاً: تعريفه

هو وباء قاتل يسببه فيروس ينتقل ويعدي بصفة سريعة يتميز باندلاع بقع حمراء أو طفح جلدي يشبه البثور على جلد المريض ويعتبر هذا الوباء من أشهر الأوبئة التي فتكت بالسكان إذ كان يظهر مرة كل أربع سنوات تقريباً.¹

ثانياً: ظهور الجدري

يعد ظهور الجدري من أبرز الأحداث في تاريخ الازمات الصحية ونظراً لتأثيره الكبير على السكان وقد ظهر في بداية القرن 19م وانتشر بسرعة في أماكن متعددة سنة 1803-1804م من بينها مدينة الجزائر، مما سمح بتوسع الوباء بين السكان² وتسبب في هلاك أزيد من 2000 شخص،³ إذ ينسب تاريخ دخوله إلى الجزائر من خلال التبادلات التجارية مع إيطاليا من جهة ومن جهة أخرى كانت العدوى تنتقل من إسبانيا وقد تسبب إصابته إلى العمى والصمم وخاصة على الأطفال الذين يعتبرون الأكثر عرضة للإصابة به.⁴

فقد عرف وباء الجدري انتشاراً واسعاً في الجزائر فقد تزامن وباء 1804م بهجمات أسراب الجراد فكان البلاء مزدوجاً بين أزمته المؤونة التي أتت على القمح والشعير والثمار والأزمات الصحية.

¹ صليحة العلامة، تاريخ الأوبئة في الجزائر، "مجلة القرطاس"، ع2، قسم التاريخ جامعة الجزائر، جانفي 2015م، ص، 212.

² خير الدين سعدي، المرجع السابق، ص، 206.

³ عائشة غطاس، الوضع الصحي للجزائر خلال العهد العثماني، "مجلة الثقافة"، وزارة الثقافة، الجزائر، 1983م، ص، 126.

⁴ Tayeb Guedin, History of epidemics and prexentive médecine in Alegria, "International journal of Heath sciences", ISSN, 2550n Feb, 2024, p 379.

- وباء 1816-1818م: يعد أخطر الأوبئة التي انتشرت في المنطقة ككل إذ امتد وجوده من المغرب الأقصى إلى غاية إيالة طرابلس¹.
وقد تتجلى أعراض هذا الوباء مرة أخرى في بداية سنة 1818م على شاب يهودي يدعى صموئيل بن شمعون، فقد بقيت أعراض هذا الوباء تظهر بين الحين والآخر في الفترة الممتدة من 1818م إلى غاية 1830م.²

¹ خير الدين سعدي، المرجع السابق، ص، 206.

² عبد القادر قندوز، الوضع الصحي للسكان الجزائري في العهد العثماني، "مجلة الخلدونية"، مج 12، ع1، جامعة ابن خلدون، جامعة تيارت، الجزائر، 2020م، ص، 64.

المبحث الثالث: الكوليرا cholera

تعد الكوليرا من الأمراض المعدية التي انتشرت في الجزائر أواخر العهد العثماني وهي عبارة عن عدوى حادة تسببها بكتيريا وتكون بالأمعاء وتنتقل عن طريق تناول الماء أو الطعام الملوث متواجدة في آسيا وإفريقيا والشرق الأوسط وأمريكا الجنوبية، والعلامة الرئيسية في وباء الكوليرا هي الإسهال دون ألم في البطن ودون حمى ودون نزيف ويصاحبه قيء متكرر جدا فهي مميت ويجب الإسراع في علاجه خلال فترة قصيرة جدا.¹

كما وصف لناصري وباء الكوليرا وصف بليغ لأعراض هذا المرض الفتاك بقوله: "وهو إسهال مفرط يعتري الشخص ويصعبه وجع حاد في البطن والساقين ويعقبه تستنتج وبرودة واسوداد لون فإذا تمادى بالشخص حتى جاوز أربع وعشرون ساعة فالغالب السلامة وإلا فهو حتفه".²

وقد عرفت الجزائر وباء الكوليرا ما بين 1817م-1823م وخلف بمدينة قسنطينة حوالي 700 من الموتى في حين أخذ يتناقص إلى أن انقطع.³

وفي شهر جويلية 1831م: انتقل وباء الكوليرا إلى الجزائر عن طريق دخول باخرة قادمة من جبل طارق وفي شهر سبتمبر من نفس السنة ازداد المرض نتيجة السفينة التونسية رسخت بميناء الجزائر كما قرر المكتب الصحي لمدينة الجزائر أن كل موانئ شمال إفريقيا ستخضع لمراقبة طبية وسيفرض الحجر الصحي مدة 10 أيام على كل السفن، ولا يسمح بالرسوخ بالموانئ إلا للبواخر الحاملة لشهادة صحية تؤكد خلو السفينة من عدوى الكوليرا.⁴

¹ GHANEM, larbi, GHANEM NOUR EL-Houda, les plus grandes épidémies de l'histoire cas de l'Algérie entre l'époque ottomane et colonial, Revue de recherches Historiques, V06, N01, juin 2022, p 881.

² محمد الأمين بزاز، المرجع السابق، ص، 188.

³ محمد المهدي علي شعيب، أم الحواضر في الماضي والحاضر تاريخ مدينة قسنطينة، الطبعة البحث للنشر والتوزيع، الجزائر، 1985م، ص، 424.

⁴ فلة موساوي القشاعي، الصحة والسكان في الجزائر أثناء العهد العثماني، المرجع السابق، ص ص، 126، 127.

المبحث الرابع: أبرز طرق العلاج:

تنوعت وتعددت طرق العلاج التقليدية في الجزائر خلال العهد العثماني والتي كانت عن طريق التجربة فتوارثت فيما بينها من خلال الأجداد فكانوا يستعملون عدة طرق لتداوي من الأمراض والأوبئة من بينها:

أولاً: الطرق التقليدية

1. التداوي بالأعشاب:

أثبتت الدراسات الحديثة أنه يوجد بالجزائر ثروة نباتية كبيرة تقدر ب 3500 نوع من النباتات التي تعود إلى المناخ الحار ومنها إلى المناخ المعتدل ولا يقل عن 500 عشبة متداولة بين الأهالي للعلاج ومعروفة عند السكان مدينة الجزائر ومنها 100 تباع لحد الآن عند العشابين في الأسواق. ومنها شجرة الخروب أي انه يقضي على أي مضاد الإسهال ومضاد للإلتهاب المخاطي¹.

ومن الأمراض التي عالجوها بالأعشاب نجد وباء الطاعون حيث كان يتم علاجه عن طريق التعريق، وكان يشرب المريض دواء معرق ومن بين تلك الأعشاب نجد الفيجل والزعتر وخليط من العقاقير كما كان يوضع على المريض غطاء أو جلد حيوان لعلاج الطاعون.² كما كان يستعمل البصل والنعناع وسفرجل للتخلص من هذا المرض.³

أما الحديث عن وباء الجذري وكيفية علاجه فالأهالي كانوا يقومون بترك المريض في غرفته معتدلة الحرارة ويناولونه 6 أو 8 حبات من التين المجفف الممزوج بالعسل، كما يقدم

¹ عبد القادر حليمي، النباتات الطبية، وزارة الفلاحة والصيد البحري، الجزائر، 1997م، ص، 03.

² فلة موساوي القشاعي، الصحة والسكان في الجزائر أثناء العهد العثماني، (1518-1871م)، المرجع السابق، ص ص، 196-197.

³ صليحة العلامة، الوضع الصحي في مقاطعة الجزائر (1830-1930م)، القافلة للنشر والتوزيع، باب الزوار، الجزائر، 2016م، ص 277.

اللحم الجاف ويستمرن على هذا الحال حتى البثور على جسم المريض وهذا للوقاية من الإصابة بهذا الوباء.¹

وفيما يخص علاج وباء الكوليرا فكان يرغب على المصابين مغادرة السهول والالتحاق بقمم الجبال²، فيعتبر وباء الكوليرا من الأمراض الخطيرة التي يعجزون عن علاجها ومن ضمن الأدوية العشبية عندهم المرهم الذي يصنعونه من عصارة شجرة الصنوبر، القطرات والبصل وزيت الزيتون والرماد والعرعار والزعتر والعسل والكمون وعروق الطيب وغيرهم من الأعشاب.³

2. التداوي بالقرآن والسنة:

يعتبر القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة لاعتماد الجزائريون في الوقاية والعلاج من الأمراض والعلل وذلك بحكم الثقافة الدينية الشائعة في البيئة الإسلامية الجزائرية⁴، فقد كان للقرآن الكريم الكثير من المعجزات للعلاج والشفاء في مختلف الأمراض وذلك لقوله تعالى: " وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا"⁵.

ويكون العلاج من القرآن والسنة عن طريق قراءة القرآن على المصاب كما دعى الرسول صلى الله عليه وسلم استعمال الماء لخفض درجة حرارة الجسم وقراءة سورة الفاتحة على المريض سبع مرات.⁶

¹ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1998م، ص، 418.

² فلة موساوي القشاعي، الصحة والسكان...، المرجع السابق، ص ص، 112-113.

³ عثمان بوحجرة، الطب والمجتمع في الجزائر خلال العهد العثماني (1519-1830م)، مقارنة اجتماعية، رسالة مقدمة

لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة أحمد بن بلة، وهران، الجزائر، 2014م، ص، 69.

⁴ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ص، 297.

⁵ القرآن الكريم، سورة الإسراء، الآية، 82.

⁶ صليحة علامة الوضع الصحي...، المرجع السابق، ص، 299.

وقد إستعمل القرآن الكريم لرقية والعلاج من الحسد والسحر والمس والعين، حيث كانوا يقرأون الفاتحة والمعوذتين على المريض.¹

3. التداوي من خلال زيارة الأضرحة والتبرك بالأولياء:

إن زيارة الأضرحة والتبرك بالأولياء الصالحين معروف في الجزائر منذ القدم لإعتقادهم أن زيارتهم لتلك الأضرحة تشفى من جميع الأوبئة خاصة بعد فشل الطبيب في العلاج فيقومون بزيارة قبر الضريح من أجل التبرك بنية العلاج والشفاء.

كما إنتهج الجزائريون سبيلا آخر لعلاج أمراضهم والتي تمثلت في زيارة المرابطين والأولياء الصالحين حيث كانوا متيقنين أن زيارة المقام تنزل عليهم البركة وتُقيهم من الأمراض وتشفيهم من الأوبئة كما كان اختيار الوالي المرابط لنفوذته وقدرته على علاج المريض فكانت طريقة علاجه تتم عن طريق أكل مقدار من التراب المبلل أو البخور بأعشاب يعطيها الولي الصالح حيث يكون على يقين من شفاءه.²

كما كانوا يعلقون التمام الحرز التي عدها لهم الطلبة أملا في الشفاء من الأمراض³، وهذا ما عبر عليه دكتور "شاو" "chaw" في أن اللجوء إلى المرابطين يعد ظاهرة راسخة في الثقافة الشعبية المغربية للبحث عن الشفاء من الأمراض، فالمرابطين بالنسبة للشعب كانوا يعتبرون وسطاء روحيين بين الإنسان وإله ما يجعلهم محل ثقة لدى المرضى وذويهم فاللجوء إليهم ليس فعلا عابرا بل هو تعبير عن الثقافة الدينية العميقة التي تتقاطع مع معتقدات السحر والرموز الوقائية مثل التمام المكتوبة بآيات قرآنية والمعلقة على صدور الأطفال أو جدران

¹ عبد الرحمن السيوطي، الرحمة في لطف والحكمة، دار أجياد الكتب العربية للنشر والتوزيع، مصر، 1976م، ص، 137.

² عثمان بوحجرة، المرجع السابق، ص، 71-72.

³ أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص، 418.

المنازل كما يرتبط هذا بطقوس أخرى كذبج الأضاحي والتبخير وغيرها معتقدين أنهم تذهب الأرواح الشريرة مثل العين وغيرها.¹

مما انتشر في بعض الأوساط الشعبية الجزائرية الاعتقاد القديم من خلال السحر والشعوذة لعلاج الأمراض المختلفة²، للمزيد أنظر للملحق رقم (2)³.

4. التداوي من خلال زيارة الحمامات المعدنية:

تعتبر الحمامات المعدنية مؤسسات إجتماعية وصحية لمعالجة الكثير من الأمراض المستعصية فقد أثبتت بعض الدراسات على الدوام الذي لعبته بعض الحمامات المعدنية لعلاج العديد من الأمراض، فقد أقبل عليها السكان أثناء العهد العثماني فكانوا يلجئون لمواجهة بعض الأمراض والأوبئة إلى الحمامات الغنية بالكبريت.

وتعد الحمامات وسيلة لعلاج الأمراض المعدية كالتطاعون الدموي المعدي وعلاج آلام الروماتيزم أو المفاصل.

5. أهم الحمامات:

أ- حمام ريغة: يقع في وادي شلف والبحر على مسافة نحو 60 ميلا في غرب الجزائر وهذا الحوض الذي يكثر الاقبال عليه، حيث يستحم فيه اليهود الذين لا يحق لهم الاختلاط بالمسلمين.⁴

ب- حمام بوحجاز: الواقع على بعد 21 كلم من عين تيموشنت، وحمام المملكة الواقع بالمرسى الكبير حيث تصل مياهه، إلى 55⁰ درجة.⁵

¹ Dr, chaw et traduit par, j, Maccarthy, la regence d'alger, Paris chez merlin éditeur, rue de savore, N 11, 1830, pp, 82-83.

² عبد القادر قندوز، المرجع السابق، ص، 122.

³ فهرس المخطوطات العربية والبربرية من مجموعة رو الفرنسية، دار العلوم الإنسانية المتوسطة، المدينة الرقمية للبحر الأبيض المتوسط (سينوميد)، منقول من موقع،

<http://cinmed-mmsh,univ-aix,Fr/iiiF/112737/manifest>.

⁴ وليام شالر، المصدر السابق، ص، 31.

⁵ فلة موساوي القشاعي، الصحة والسكان...، المرجع السابق، ص، 295.

ج- حمام المسخوطين: الواقع على قرب 18 كلم من قالمة، مياهه تصل إلى 95⁰ درجة وهي صالحة لشفاء المرضى المصابين بداء الجدري.¹

ثانيا: الأطباء الجزائريون المحليون

تضاربت الآراء عن وجود الأطباء خلال أواخر العهد العثماني بالجزائر فهناك من يقول أن عددهم قليل وهناك من نفى وجود أي طبيب في الجزائر ومن بينهم "لوجي دو تاسي" "Lougy de tassy" وهذا بقوله: " أن العرب لا يعرفون طبيا غير الطبيعة".

أ. وقد أشار دكتور شاو "Chaw" أنه لم ير من الأطباء سوى عددا قليلا من الأطباء والحقيقة أنهم لم يكونوا بمستوى ومرتبة الأطباء الأوروبيون، حيث أطلق عليهم اسم أطباء الأعشاب وعددهم محدود ومن أسباب هذه الفئة هو إهمال المؤسسات التعليمية تدريس العلوم مثل الطب²، ومن الأطباء الجزائريون القلائل الذين امتحنوا هذا المجال نذكر من بينهم:

ب. ابن حمادوش عبد الرزاق: هو عبد الرزاق بن محمد المعروف بابن حمادوش الجزائري ولد سنة 1635م بمدينة الجزائر وهو من أشهر الأطباء الجزائريين خلال العهد العثماني، كان اهتمامه بعلوم الطبيعية فهو يعتبر طبيا وصيدليا، وكانت له اسهامات في المجال الطبي ومن مؤلفاته: كشف الرموز في شرح العقاقير والأعشاب، الجوهر المكنون في الطب.³

ج. أبو الراس الناصري: من مواليد 1751م بمدينة معسكر يعتبر فقيه ألف كتاب أسماه ما وري " الماعون في أخبار الطاعون" خاصة بعد الآثار التي تركها الطاعون في الجزائر

¹ المرجع نفسه، ص، 300.

² فوزية لزغم، الأطباء الأوروبيين بالجزائر خلال العهد العثماني (1519-1830م)، " مجلة الدراسات التاريخية"، العدد 15 و 16، الجزائر، 2012-2013م، ص ص، 162، 163.

³ عثمان بوحجرة، المرجع السابق، ص، 28.

من وفيات وجوائح خاصة في الحواضر الكبرى مثل: قسنطينة، الجزائر، تلمسان، توفي عن عمره 90 سنة.¹

ثالثا: التعاون الشعبي لمعالجة الأمراض:

لقد لعب التعاون الشعبي دورا أساسيا في التصدي لهذه الأزمات الصحية، فقد تجلت روح التضامن والتكافل بين أفراد المجتمع فتنوعت أشكال هذا التعاون من مبادرات فردية وجماعية للتخفيف من حدة الأمراض والأوبئة.

فقد أشار أرزقي شويتام إلى أن سكان الجزائر لهم وعي صحي فكلما قدم ركب من الحجيج ويع فيه أن يحمل وباء فيقوم أفراد المجتمع بكافة أطرافه بتحذير بعضهم البعض، فلم يكن أحد يدخل إليهم ولا يخرج أحد منهم إلى الركب، فقد كانت اسهامات سكان مدينة الجزائر بمختلف أطرافهم وبأموالهم الخاصة في تشييد مرافق عمومية ودينية كما خصصت قاعة خارج باب الوادي يلجأ إليها الفقراء، وعابري السبيل لقضاء الليل، وكان يشرى الخبز بمداخيل بعض الأوقاف وكان يوزع على الفقراء مرة في كل أسبوع.²

وقد أكد محمد العربي الزبيري في كتابه التجارة الخارجية للشرق الجزائري على تلاحم المجتمع الشعبي في التعاون والوقوف في صد الازمات وهذا ما اتضح في قوله: " فقد اضطر السكان إلى فتح مطاهيرهم وتوزيع ما كانوا قد خزنوه من حبوب على إخوانهم الضعفاء الذين أشرفوا على الهلاك وصار عبد الله باي ي كاتب الأعيان ويطلب منهم أن يرسلوا له ما فاض عليهم من قمح أو شعير يتولى هو توزيعه حسب الأولوية أو يكلف من يبيعه للمحتاجين".³

فقد أنشئت مطامير لبائلك في مراكز الحاميات وأقيمت المطاحن الهوائية والمائية بالقرب من المدن، كما خصص جزء من تحصينات مرسى مدينة الجزائر لحفظ فائض المواد الأولية،

¹ سليم بلوج، الأوبئة والمجاعات الفتاكة في الجزائر خلال الفترة العثمانية 17م و19م، المؤتمر الدولي بعنوان المجاعات والأوبئة في الوطن العربي، ج2، المركز الديمقراطي العربي، برلين، 2021م، ص، 107.

² أرزقي شويتام، المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني (1519-1830م)، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، 2005، 2006م، ص، 304.

³ محمد العربي الزبيري، المرجع السابق، ص، 55.

كالزيت والحبوب، فخصص ما بين 8 إلى 10 مخازن لحفظ الحنطة سعتها الاجمالية من 160 إلى 200 ألف قيسة.¹

والجدير بالذكر إلى أن محمد صالح الغنتري في كتابه مجاعات قسنطينة في وصفه لأصحاب البر والخير الذين سعوا في فعل الخير وإعطاء المعروف مدة تزول ذلك القحط فقد بذلوا جهدهم في إعطاء الصدقات للضعفاء فمنهم من يطعم الطعام ويسقى، ومنهم من يحضر الحبوب بالرحبة في صورة البائع فتجتمع الناس عليه ويكتال لكل واحد نصيبا وحين تنقضي تلك الحبوب ويحوزها المكتالون لها ينادي بلسان فصيح: " يا عباد الله كل من أخذ شيئا فهو له خالصا لا أخذ منه ثمنه ويذهب في حال سبيله فيفرح الناس حينئذ ويشكروا خيره وقد تكررت هذه الأفعال مرارا".²

فقد كانت هذه الأعمال الخيرية تعبر عن روح التضامن والتعاون السائد بين أفراد المجتمع الجزائري وخير دليل أن منطقة شرشال تعرضت سنة 1811م لمجاعة مهلكة فقام المرابط الحاج بن عودة يوضع كل مخزون الحبوب تصرف المساكين.³

كما كان للأولياء الصالحين دورا مهما في محاولة تحسين مستوى المعيشة بين فئات المجتمع الجزائري بأساليب شتى إما عن طريق الأداء الكرامي أو الدعاء عن طريق تشجيع الصدقة وحث الفئات الميسورة عليها.⁴

فقد لعبت الزوايا دورا رياديا في التكافل الاجتماعي في الجزائر خلال العهد العثماني فكانت هناك زوايا متخصصة في استقبال نوع معين من الضيوف بنصوص أوقافها، فزاوية مولاي حسن بالعاصمة كانت عبارة عن دار يسكن فيها العزاب، وكانت زاوية سيدي أبي عتيقة

¹ صرهودة يوسف، المرجع السابق، ص، 653.

² محمد صالح الغنتري، مجاعات قسنطينة، المرجع السابق، ص، 40.

³ أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص، 304.

⁴ مزدور سمية، المرجع السابق، ص، 150.

تستقبل الفقراء والمرضى والعجزة كما كانت زاوية علي الزواوي يأتون إليها لاعتقادهم بأن ماءها يبرئ من العقم ويذهب الحمى¹.

كما كان للزواج دورا استراتيجيا في مواجهة فترات الأزمة لتعويض الخسائر البشرية الناتجة عن الوفيات والهلاك التي خلخلت التركيبة الديموغرافية خاصة في تلاقي المجاعة بالطواعين وهذا ما هدد قسم أكبر من السكان وجعل المجتمع لا يكاد يحافظ على وجوده واستمراره إلا بصعوبة كبيرة، فالإقبال على الزواج والإنجاب والعودة، إلى نسق النمو، ويلجأ اليهود عند اشتداد الوباء لقرار تزويج جميع شبابهم البالغين سن الزواج حتى يحافظون على استمرار نسلهم وحتى لا تنقرض بعض الأسر، وقد تم تزويج 400 شخص في 1787م.²

رابعا: طرق ووسائل مواجهة الأوبئة

1. الحجر الصحي:

أ. الاستهتار بالحجر الصحي:

عرفت المنظومة الصحية في الجزائر خلال الفترة العثمانية انهيارا واضحا ولم تحرز تقدما في الميدان الطبي مقارنة مع الدول الأوروبية، فسياسة السلطة العثمانية في الجزائر انعكست على المجال الطبي وعلى التدابير المتخذة للوقاية من الأمراض المعدية خاصة الطاعون، وعلى هذا الأساس لم تلتزم السلطة بإقامة قاعدة صحية تقضي بالصرامة في تطبيق آليات الحجر الصحي باعتباره أنجح طريقة للوقاية من الأمراض، وتجدر الإشارة إلى أن الدولة العثمانية كانت ناتجة عن استهتار واضح في الميدان الطبي³، مثلما هو الحال في بعض الحالات التي تلتبس فيها فعليا عدم حرصها على الأخذ بتدابير الوقاية من الأوبئة وإلزام الناس

¹ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1998م، ص، 270.

² صرهودة يوسف، المرجع السابق، ص، 653.

³ هجيرة غراف، السلطة العثمانية وآليات الوقاية من الأوبئة في إيالة الجزائر، الحجر الصحي أنموذجا، "مجلة القرطاس للدراسات الفكرية والحضارية"، مج7، ع2، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، قسم التاريخ، جامعة وهران،

2020م، ص ص، 155، 156

بها هذا ما نتبئته من تتبع المصادر المختلفة في هذا الشأن والتي يأتي على رأسها كلام حمدان خوجة: " الذي أبدى تحسره على عدم اهتمام السلطة الحاكمة بتطبيق أنظمة الوقاية والنظافة والحجر الصحي أو ما يعرف "بالكرنتينة"¹ التي كان من شأنها تخفيفه وطأة الهجمات الوبائية². لقد وقفت السلطة الحاكمة عاجزة على تطبيق الحجر الصحي بسبب اختلاف بين رجال الدين حول كيفية التعامل مع المصابين، حيث دعى البعض إلى التوكل على الله وعدم الاحتراز معتمدين على قوله تعالى: " قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَهُ اللَّهُ لَنَا³... " ومنهم من دعى الهروب وعدم المبالاة من الأوبئة مثل ما حدث مع الباشا محمد تكلرلي الذي هرب من مدينة الجزائر واتجه نحو منطقة رأس الخشين 1794م وكذا عثمان باي وهران نحو سهل ملاتة، وهذا واضح في قدوم سفينة إلى ميناء الجزائر إذ قام نائب القنصل بفرض نظام الكرننتينة على السفينة وطلب من الداى إبراهيم الحذر من انتشار العدوى، لكن الداى أجابه: " إن خوفك من اعتقال العدوى يفسر بكونك مسيحيا وبهذه الصفة تظن أن بإمكانك الإفلات والهروب من قدر وإرادة الله، اذهب أنا تركي ولا أخشى الطاعون"⁴.

ب. نظام الحجر الصحي:

يذكر ابن حمادوش في كتابه " رحلة ابن حمادوش الجزائري المسماة لسان المقال " أنه تم تطبيق الحجر الصحي على مركب للحجاج آتي من الإسكندرية كانت حاملة للوباء فمنعهم الباشا من الدخول وهذا حمية من أن يقوم ممرض على مصح وأذن لهم بالدخول بعد التحقق

¹ خير الدين سعدي، المرجع السابق، ص 248.

² الكرننتينة: هي مدة الحجر الصحي وأصلها لاتيني من اللغة الإسبانية Caurantena أي مدة أربعين يوما، وهو الأمد الأقصى الذي يظهر فيه الوباء، لا يتم مخالطة أحد حتى يتأكد الأطباء من سلامة الوافدين خوفا من العدوى للمزيد ينظر: رشيد حفيان، قراءة في مخطوط، " مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية"، مج، 33، قسنطينة، الجزائر،

2019م، ص، 610

³ القرآن الكريم، سورة التوبة، الآية 51.

⁴ جمال الدين عمراوي، الأوبئة والأمراض في الجزائر وبلاد المغرب، "مجلة الآفاق الفكرية"، مج، 9، ع2، جامعة قسنطينة، 2020م، ص، 234.

من سلامتهم من هذا الوباء " وهذا الإجراء الذي قام به الباشا السابق حيث أصبح معظم الدايات من بعده يتبعون هذه السياسة.¹

انتهج صالح باي (1771-1792م) مجموعة من الإجراءات الصحية من بينها إجراء الكارنتينة بعدما صارت قسنطينة ملتقى القوافل التجارية الكبرى القادمة من طرابلس وتونس والمغرب الأقصى فقام بإصلاح الموانئ كميناء عنابة والقالة وغيرها التي تأتي إليهم السفن والمراكب التجارية الأوروبية كفرنسا وإيطاليا مما أدى إلى ازدهار الحركة التجارية الواسعة التي تميزت بها قسنطينة، حيث طبقت فيها الحجر الصحي وكانت تستقبل جميع السفن بطاقمها وركابها والبضائع التي تحملها.²

كما أن في مثل هذه الأحوال هو حرص الحكام على الحد من خطورة الأوبئة والتقليل من أضرارها بمختلف الوسائل فمثل اتباعهم نظام الحجر الصحي لمدة أربعين يوم " الكرانتين، وذلك بالنسبة للحجاج والمسافرين على حد سواء مع فرض الرقابة الصارمة على المناطق المصابة يمثل هذه الأمراض المعدية بغية عزلها عن باقي الجهات.³

وهذا ما أكده احمد الشريف الزهار من خلال مذكراته بقوله: " كانت العادة أنهم إذ وصلوا القرصان فإن قبطانها يتكلم من ناحية المركب إذ كانت الكرنتينة فإنهم يصعدون إليه ويستسلم مكاتب القنصل بما جاء به ومن أين أتى فيذهب للأمر ويخبر بأخبار القرصان".⁴

2. قنوات المياه وشوارع المدن:

تعتبر قنوات تطهير المياه من أهم السوائل الوقائية ضد الأمراض خاصة تلك التي تعرف بالأمراض المتنقلة عبر المياه ويشير ناصر الدين سعيدوني أن الحكام العثمانيين في الجزائر

¹ عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري، رحلة ابن حمادوش الجزائري المسماة لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال"، تح، أبو القاسم سعد الله، عاصمة الثقافة العربية، الجزائر، 2007م، ص، 212.

² حليلة كربوع، نبيلة حويلي، الأوبئة والمجاعات في الجزائر من (1804-1868م) وآثارها الاجتماعية والإقتصادية، مذكرة ماستر، تخصص تاريخ الوطن العربي و المعاصر، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2020-2021م، ص، 79.

³ محمد زين، المرجع السابق، ص، 132.

⁴ أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص، 152.

يعود لهم الفضل الكبير في تنظيم قنوات المياه وتسخيرها في استغلال الزراعة وتلبية حاجيات السكان فحرص العديد من الدايات بالقيام بالأعمال الخيرية في مجال المنشآت العمرانية مثل الآبار والعيون والسواقي والأحواض والصحاريح والقنوات المشكلة للشبكة المائية وقد كانت هذه القنوات محل الاهتمام والتي أحدثوا لمراقبتها وصيانتها جهازا إداريا أوكلوا الإشراف إليه إلى أمين الصندوق أو خوجة العيون ووضعوا تحت تصرفه مجموعة من الموظفين من الكتاب والشواش وهذا نظرا لأهميتها البالغة ودورها في الوقاية الصحية.¹

ومع هذا فقد قامت السلطة بتطبيق بعض التدابير الوقائية إن لم تكن ضد القادمين من البلدان الأجنبية، فهي ضد المناطق الموبوءة في البلاد فمثلا منطقة بوزريعة ذات جو صحي عدت منطقة تطهير للمجلة العثمانية من الأوبئة سهلة من أوبئة سهل متيجة، فبعد أن تعبر هذا السهل وتجمع الضرائب تعود إلى مدينة الجزائر وقبل الدخول إليها تظل لبضعة أيام مستقرة فوق مرتفعات جبال بوزريعة لتتطهر من جرثومة الوباء التي حملتها من السهل ثم يسمح لها بالدخول إلى المدينة.²

كما عملت السلطة العثمانية بالإهتمام بنظافة المدينة وكان يشرف عليها قائد عامل النظافة وذلك بجمع النفايات، فهذا عالم الرياضيات لاكوندا مين يقول: " إن في الجزائر نظافة ولا نجد قمادات الأوساخ مثل ما نراه في مدينة تاولون رغم أنه هناك بعض الشهادات عن مدينة الجزائر التي تقول أنه كان بها شوارع قدره وضيفة لا تتسع حتى لإثنين من المارة للمرور بسهولة، وفي الشوارع أكثر اتساعا كان الرجل يزاحم الجمال والخيول والحمير وكثرة الفئران وكان أنه يصعق بروائح الاوساخ والقاذورات.³

¹ نوال ظاهر، الأوبئة والمجاعات خلال القرن 19م (1800-1830م)، مذكرة لنيل شهادة ماستر في التاريخ، تخصص تاريخ المغرب العربي الحديث، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، قسم التاريخ، جامعة غرداية، 2020-2021م، ص، 62.

² سعاد عقاد، الفلاحون الجزائريون والسلطة العثمانية في الجزائر (1819-1830م)، دار السلطان أنموذجا، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران، 2013-2014م، ص، 56.

³ عثمان بوحجرة، المرجع السابق، ص، 76.

3. الصيدليات: تؤكد معظم الأبحاث والدراسات ان الصيدليات في الجزائر خلال العهد العثماني كانت قليلة جدا او شبه منعدمة حيث يذكر الرحالة "ماريصول" (MARISOL) أن الجزائر كانت تفتقد للصيدليات، وحسب ما أورده الألماني "ريبندر" (Rehbinder) أن الصيدلية الوحيدة الموجودة كانت بمدينة الجزائر التي تقع بالقرب بقصر الداوي، ويشرف عليها باش جراح الذي يعتبر طبيب وجراح وصيدلي في آن واحد وكانت لا تحتوي إلا على بعض الزجاجات والكؤوس المحتوية على العقاقير والحشائش.¹

فتيحة مسعودي، المرجع السابق، ص، 212.¹

الفصل الثالث

انعكاسات الكوارث الطبيعية والأوبئة في الجزائر

خلال العهد العثماني (1518-1830م)

تمهيد:

شهدت الجزائر خلال العهد العثماني (1518-1830م) العديد من الكوارث الطبيعية والأوبئة التي أثرت تأثيرا كبيرا على مختلف نواحي الحياة الاجتماعية والاقتصادية وحتى السياسية، فقد واجهت البلاد موجات متكررة من الزلازل والفيضانات والجفاف والمجاعة إلى جانب انتشار الأوبئة مميتة كالطاعون والجذري والكوليرا والتي كانت تحصد أرواح لآلاف من السكان في فترات متقاربة حيث أدت إلى تقلص عدد السكان وانهايار بعض الأنشطة الاقتصادية مثل الزراعة والتجارة فزادت من معاناة السكان.

المبحث الأول: على الجانب الإجماعي

أولاً: تراجع النمو الديموغرافي:

إن المصادر الإسلامية لا توفر أخباراً جديدة بدراسة إحصائية علمية فالجغرافيون العرب أمثال " البكري " و"ابن حوقل" و"الادريسي" عرفوا عن ذكر أي تقدير أو تعداد سكان المدينة فاكتفوا بوصف المدينة "بالعامرة"، ويعود أول تقدير إلى العشرية الثانية من القرن السادس عشر وهو ما أورده حسن بن محمد الوزان الزياني بأن المدينة اشتملت على أربعة آلاف كانون، ولقد قدر بعض الرحالين، إلى أن عدد سكان مدينة الجزائر في المنتصف الأول من القرن السادس عشر بين عشرين ألف وخمسة وعشرين ألف فالتزايد السكاني كان مذهلاً حيث ففر العدد إلى عشرين ومائة ألف نسمة سنة 1620م.¹

فإختلف الآراء حول عدد سكان مدينة الجزائر أثناء الفترة العثمانية تتناقض من مصدر لآخر، فيصعب علينا إستنتاج العدد الحقيقي للخسائر البشرية التي ترتبت عنها الكوارث الطبيعية والأوبئة التي تعرضت لها الجزائر، وبصفة خاصة أن القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر هي الفترة التي تميزت بركود ديمغرافي نتيجة إرتفاع نسبة الوفيات.²

ويعود انحطاط الجزائر بسبب الكوارث الطبيعية والأوبئة التي أدت إلى تراجع هائل في عدد السكان الجزائر العاصمة من أكثر من 100 ألف نسمة إلى 60 ألف نسمة ثم حوالي 40 ألف نسمة³، وهذا ما أشار إليه "وليام شالر" "wiliam shaller" إلى أن عدد سكان مدينة الجزائر والتقديرات تقريبية فهي ليست حقيقية، ومنه نجد أن الوضع الديمغرافي في نهاية العهد العثماني اتصف بعدم الاستقرار من حيث عدد السكان وكثافته نتيجة لظروف صحية وطبيعية ومعيشية⁴، حيث يذكر الدكتور ناصر الدين سعيدوني، بأنه لا يمكن استعراض الوضع الديمغرافي إلا بالرجوع لعدد السكان الإجمالي ففي سنة 1830م، فالعدد الإجمالي لسكان مدينة

¹ عائشة غطاس، الحرف والحرفيون...، المرجع السابق، ص، 68.

² فلة موساوي القشاعي، الصحة والسكان...، المرجع السابق، ص، 469.

³ العربي أيشبودان، المرجع السابق، ص، 81.

⁴ وليام شالر، المصدر السابق، ص، 31، 38.

الجزائر كان يبلغ مع نهاية العهد العثماني حوالي 3 ملايين أو أكثر استنادا إلا الإحصائيات التي اعتمدها بوتان سنة 1830م حيث قدر عدد السكان ما يقل عن 2800.000 نسمة ولما يزيد عن 30.000.00 نسمة.¹

فقد عرف الوضع الديمغرافي للبلاد تغيرات كبيرة وانعكاسا واضحا وجليا للمستوى المعيشي والحالة الصحية للسكان في الجزائر، حيث اتسم هذا الوضع بعدم الاستقرار من خلال عدد السكان وكثافتهم وتمركزهم وظروف تناقصهم وتزايدهم، كما تعد عملية الإحصاء من المسائل الشائكة والمعقدة نظرا لعدم توفر المعلومات والإحصائيات الحقيقية، فمختلف الأرقام حول عدد السكان عبر مختلف المصادر تعتبر جزئية وغير دقيقة بل كانت تقريبية، حيث ذكر "بوتان" "boutin" في تقريره لعام 1808م أن عدد سكان الإيالة الجزائرية لا يقل عن مليونين و800 ألف نسمة ولما يزيد عن ثلاثة ملايين نسمة، بينما قدر القنصل الأمريكي شالر "shaller" عددهم في 1822م، كانوا خاضعين للحكم التركي بحوالي مليون و870 ألف نسمة وكذلك إحصاء "بيرو" "pereau" الذي حدد عدد السكان بحوالي مليونين و500 ألف نسمة²، فيما يقرر "ميشال بيروت" "Michel perrot" بأن عدد سكان إيالة الجزائر في أحسن الأحوال لم يتجاوز المليونين والنصف نسمة (2.500.000 ن) وترى "لوسيت" فالنسي" وهي التي وضعت كتابتها في فترة المتأخرة عن من تقدم ذكرهم ان عدد سكان الجزائر قبل 1830م لم يتجاوز الأغلب 3.500.000 نسمة³ إلى أن ما يلفت الانتباه من الناحية الاجتماعية هو اختلاف الروايات المتعلقة بالإحصاء لعدد السكان بمدينة الجزائر في أواخر الفترة العثمانية ومن الدراسات المحلية إضافة إلى معلومات اللجنة الإفريقية أن عدد سكان الجزائر في هذه الفترة كانت تعيش في المدن والأرياف، بينما شكل سكان المدن فئة ضئيلة لا تتجاوز 5% من مجموع السكان الموزعون كالتالي:

¹ ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني (1792-1830م)، ط1، دار البصائر، الجزائر، 1981م، ص، 41.

² جليل بن عتو، زهاد قوراري، المرجع السابق، ص، 654.

³ فتيحة مسعودي، المرجع السابق، ص، 188.

- من الناحية الغربية: 7% أو 8%
- من الناحية الوسطى: أقل من 6%
- من الناحية الشرقية: لا يتجاوز 3%

كما تشير إلى أن عدد الأتراك سنة 1651م هو 30.000 نسمة والعرب 97.000 نسمة، أما اليهود فبلغت نسبتهم 10.000 نسمة في حين بلغت نسبة العبيد والنصاري 20.000 نسمة¹.

وهذا ما ذكره "حمدان خوجة": " إلى أن اية الجزائر يسكن بها عشرة ملايين نسمة وتتكون من مدن وقرى وموانئ أو أرياف غير أن الجزء الأكبر هو قاعدتها ومصدر ثرواتها يوجد خارج المدن التي يبدو أن تكونها أو يسكن هذا الجزء أناس يطلق عليهم اسم البدو"². وهذا ما أشارت إليه بعض الدراسات إلى أن عدد سكان مدينة الجزائر بلغ خلال القرن 17م حوالي 100.000 نسمة وأن 5% من هؤلاء السكان يعيشون في المدن و95% من السكان يعيشون في الريف للتهرب من دفع الضرائب والضغوطات السياسية، ويعتبر مرض الطاعون من أكثر الأمراض التي تسببت في تراجع كبير في عدد السكان الذي تسبب في حدوثه أزمات ديموغرافية ذهب ضحيتها الآلاف من الناس³.

ولتوضيح الصورة أكثر تقوم برصد أعداد سكان بمدينة الجزائر في مختلف الفترات للعهد العثماني دون حساب نسمة اليهود، للمزيد أنظر الملحق رقم (04).

¹ عبد الجليل رحموني، إهتمامات المجلة الإفريقية بتاريخ الجزائر العثمانية (1520-1830م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، في التاريخ الحديث و المعاصر، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، قسم العلوم الإنسانية، جامعة جيلالي، سيدي بلعباس، 2014-2015م، ص، 124.

² حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص، 13.

³ فلة موساوي القشاعي، الصحة والسكان...، المرجع السابق، ص، 468.

كما قدم الباحث ناصر الدين سعيدوني ترتيبا زمنيا للكوارث الطبيعية والأوبئة وأثرهما الواضح على نمو السكان ووضعهم الاجتماعي، فتضاءل سكان المدن وتناقص سكان الأرياف ابتداء من أواخر القرن 18م والذي بلغ عددهم حوالي 6.000 نسمة في أواخر سنة 1781م.¹ فيما تتفق ملاحظات الرحالة والقناصل المبنية على ملاحظات من زار الجزائر من الأوروبيين خلال العهد العثماني أن إيالة الجزائر خلال القرن 19م كانت تعرف تراجعا كبيرا ومطرذا في النمو الديموغرافي أدى بدوره إلى تراجع نسبة سكان مدينة الجزائر، فتعداد سكان المدينة تراجع من مئة ألف (100.00) حسب رواية الأب "دان" إلى خمسين ألف (50.000) ألف في منتصف القرن 18م²، فتكرار الهجمات البوائية أدى إلى خسائر فادحة تنعكس فعلا على التركيبة السكانية داخل المدن وقد كانت التأثيرات الديموغرافية تختص بالمدن الكبرى فقط بل مثلما نتحدث بعض الدراسات على أن وباء الطاعون الذي ضرب الجزائر في 1818م، امتد إلى الكثير من المدن وكان تأثيرها كبيرا على بعض المدن من الناحية الديموغرافية للسكان³، فقد تسببت الأوبئة المنتشرة ما بين 1673م و1702م في خسائر بشرية حيث لم يعثر على أرقام تمثلها، حيث أن سوء الوضع الصحي دائما يترتب عنه إرتفاع عدد الوفيات وتناقص سريع للسكان، فقدرت نسبة الضحايا في وباء 1740م ما بين 200 و400 وفاة يوميا، حيث وصل عدد الأمرات عام 1753م إلى 1700م ضحية⁴، زادت حدته في جيجل والقل فقد كان أكبر قدر ممكن من الأموات كان في مدينة قسنطينة، ولم تكن الأوبئة هي الوحيدة التي كان لها تأثير على الوضع الديموغرافي بل ساهمت الكوارث الطبيعية في تدمير النسيج الاجتماعي التي تحكمت في انتشار الأوبئة، ففي سنة 1792م عاد وباء الطاعون مع

¹ ناصر الدين سعيدوني، الجزائر في العهد العثماني...، المرجع السابق، ص، 95.

² H.D.D. E. Grammont. Op, cit, p, 240.

³ يمينة مجاهد، تاريخ الطب في الجزائر في ظل الاستعمار الفرنسي (1830-1962م)، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة أحمد بن بلة، وهران، الجزائر، 2017، 2018م، ص، 294.

⁴ J.Marchika, op, cit, p 73.

زلزال قوي قام بتدمير سكان مدينة الجزائر مصحوبا بمجاعة عنيفة فقد تسببت الأمراض المنتشرة في عهد الدايات في تناقص عدد السكان بشكل مريع.¹

كما نلاحظ تناقص عدد السكان خاصة الأطفال والشيوخ وانتشار الفقر مما أدى إلى هجرة عدد هائل من السكان المدن²، وهذا ما ذكره الباحث ناصر الدين سعيدوني إلى أن الأرياف فكادت تقفر بسبب الظروف الصحية بسبب إنتشار الأوبئة مثل وباء الطاعون، هذا ويضاف إلى سوء الأحوال الصحية وحدوق الكوارث الطبيعية التي أدت بدورها إلى تناقص السكان وتراجع في النمو الديموغرافي في السكان الجزائر الذي اتصف بعدم الاستقرار من حيث عدد السكان وكثافتهم كذلك تبعا للظروف الصحية والأحوال المعاشية والشروط الطبيعية، وكما أشرنا سابقا أننا لا يمكن أن نأخذ فكرة عامة عن الواقع الديموغرافي في العهد العثماني من خلال التعداد السكاني، فقد عرفت مدينة الجزائر في مطلع العهد العثماني نموا ديموغرافيا بسبب توافد الأندلسيين واليهود واستقرار مجموعات من الأتراك والأعلاج لممارسة الجهاد البحري وجلب أعداد كبير من الأسرى، وهذا ما جعل سكان مدينة الجزائر يتزايدون³ من 30 ألف إلى ما يناهز مائة ألف نسمة منهم أكثر من ثلاثين ألفا من الأسرى والمسيحيين ويبقى هذا الازدهار العمراني والنمو السكاني متزايد طيلة القرن السادس عشر ميلادي وحتى منتصف القرن السابع عشر ميلادي والذي بلغت أثنائه مدينة الجزائر أو جها وأصبح عدد سكانها يقدر ب 150 ألف نسمة وبعدها أصبح يتناقصون لانقطاع سبل الهجرة الأندلسية وتناقص الأسرى وإشتدادا الأمراض وتكرار المجاعات وحدوث الزلازل حتى أصبح عدد السكان لا يتجاوز مع نهاية القرن 18م الخمسين ألف نسمة ورغم الانتعاش الديموغرافي الذي تميزت به السنوات الأولى من القرن التاسع عشر ميلادي حيث تجاوز عدد السكان عشية الاحتلال الخمسة

¹ فلة موساوي القشاعي، الصحة والسكان...، المرجع السابق، ص ص، 47، 77.

² عثمان بوحجرة، المرجع السابق، ص، 48.

³ ناصر الدين سعيدوني، الجزائر في العهد العثماني، المرجع السابق، ص، 91.

وثلاثين نسمة، وعند تعرض المدينة إلى الاحتلال إنخفض عدد السكان إلى 25 ألف نسمة نتيجة هروب كثير من العائلات داخل البلاد خوفا من بطش الجيش الفرنسي وتعدياته.¹

فالعديد السكاني في أواخر العهد العثماني لمدينة الجزائر راجع إلى عدة عوامل يمكن حصرها في إنتشار الأوبئة فقد قدر بحوالي ثلاثة ملايين نسمة، كما أشارت بعض التقارير الفرنسية فقد حددته بمليون نسمة أو مليون ونصف نسمة كما أن من المعتقد أن هذه الإحصاءات يجب أن تميزها الدقة وذلك لأسباب منها: أن أصحاب هذه الإحصاءات اكتفوا فقط بإحصاء السكان المقيمين بالمدن دون أن يأخذوا بعين الاعتبار سكان المناطق الريفية والصحراوية وذلك لعدم وجود بيانات إحصائية حكومية يعتمدون عليها.²

كما تسببت الأوبئة في تغيير جذري للبنية الإجتماعية للمجتمع الجزائري فاندثرت بعض الأسر والقبائل بأكملها كما هو الحال مع قبائل الأمحال الذي سمي طاعون 1786م ب "حبوبة الأمحال" نسبة إليهم بعدما أفناهم عن آخرهم كما طرح الوباء مشكلة الإرث على مستوى المدن أو الأرياف كما كانت لإدارة بيت المال زمن الطاعون نشاط يفوق نشاط جميع الإدارات الأخرى فهي التي تقوم بإحصاء عدد الموتى، وتعمل على تجنب الفوضى التي قد تسبب فيها كثرة الوفيات، كما أنها هي التي تتولى التركات المهمة وتقوم بعمليات الإرث.³

فالأثر الديموغرافي الكبير الذي أحدثته هاتين الأزميتين الصحتين على الإيالة، ففقدان عشر السكان خلال الوباء الواحد أو الوباءين يعد أمرا كبيرا ولقد ذكرنا فيما سبق أكثر من (18 مجاعة) وحوالي 25 وباء) الذي ضرب الجزائر خلال الفترة من (1700-1830م)، وإذ تحقق ذلك فعلا فإنه بالتالي مجموع التأثير الذي نجم على تسلط المجاعات والأوبئة التكرارية على النمو الديموغرافي للجزائر الذي يفوق بكثير مجموع الضحايا الحروب والمناوشات الداخلية

¹ نفسه، ص، 91.

² أرزقي شويتام، نهاية الحكم العثماني في الجزائر...، المرجع السابق، ص، 83.

³ كاميليا دغموش، حمدادو بن عمر، المرجع السابق، ص، 344.

وحتى الخارجية مع الدول الأوروبية التي حدثت في حل أطوار تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني ككل أي 1518-1830م¹.

فإنعكاس الكوارث الطبيعية والأوبئة على الوضع الديموغرافي للجزائر تميز بعدم الإستقرار من خلال عدد السكان وكثافتهم وتمركزهم، والمؤكد أن عدد السكان الجزائر عرف إرتفاعا ملموسا خلال القرن 16م والنصف الأول من القرن 17م، وبعدها عرف إنخفاضا كبيرا نظرا لتأثير عدة عوامل منها التفاوت في المستوى المعيشي بين السكان وتدهور الأحوال الصحية وخاصة وباء الطاعون الذي إنعكس سلبا على المجتمع الجزائري والذي أدى إلى هلاك مئات الآلاف عبر الفترات الزمنية المختلفة، أما حدوث الكوارث الطبيعية وخاصة المجاعات والزلازل وهذا ما استغلته الدراسات الأجنبية للتشهير بالوضع المأساوي للجزائر وأهلها محملة المسؤولية للسلطة الحاكمة مستهدفة تبرير الإستعمار للجزائر، التي ستزداد سوءا حيث ستصبح تحت هيمنته متحفا للأوبئة والأمراض الفتاكة.²

ثانيا: أسباب الانهيار الديموغرافي:

لقد تعددت أسباب الإنهيار الديموغرافي في الجزائر خلال أواخر العهد العثماني وذلك عائد إلى إنتشار القحط والمجاعات في البلاد بين سنتي 1803م و1805م والتي إنعكست سلبا في غلاء المعيشة وإرتفاع الأسعار.³

لقد أحدثت الأوبئة تغيرات واضحة على البنية الإجتماعية حيث فككت أسر بأكملها مما دفع السكان بالفرار والهروب إلى المناطق التي لم يصل إليها وباء الطاعون مما أثر تأثيرا كبيرا على الوضع الإجتماعي فقد هجر الأهالي أراضيهم تاركين ممتلكاتهم في الأفق كما فعل سكان جيجل قاموا بمغادرة المدينة عند إنتشار المرض⁴، فصلة الجزائر ببلدان البحر الأبيض المتوسط وإنفتاحها على أقاليم السودان وعلاقتها التجارية مع أوروبا وإرتباطها الرومي بالمشرق

¹ خير الدين سعدي المرجع السابق، ص، 302.

² جليل بن عتو، زهاد قوراري، المرجع السابق، ص، 655.

³ سمية العيد، المرجع السابق، ص، 70.

⁴ عائشة غطاس، الوضع الصحي...، المرجع السابق، ص، 126.

الإسلامي، ويعود الطاعون من أخطر الأمراض التي عانى منها المجتمع الجزائري كما تعرض إلى ضرباته الحادة كل العناصر الأجنبية المقيمة بالبلاد وقد تسبب ظهوره في انهيار عدد السكان وتدهور الوضع الصحي الذي أثر بدوره سلبا على إقتصاد البلاد¹. ومن أسباب الإنهيار الديموغرافي عدم الإهتمام السلطة الحاكمة بشؤون الصحية وذلك لعدم بناء المستشفيات مما زاد في إنتشار الأوبئة الصحية للجزائريين كانت في المجتمع الجزائري.

في أواخر العهد العثماني، حيث إعتدوا على علاج الأمراض عن طريق الوسائل البدائية، حيث لم يكن في الجزائر سوى مستشفى واحد إسباني خاص بالنصارى، ولم يكن للسلطة العثمانية إهتمامها بالطب هذا ما إنعكس سلبا على السكان²، كما كانت الكوارث الطبيعية لها تأثيرا كبيرا في ندرة الأقوات من بينها المجاعة التي كانت تحدث من حين لآخر وأما زحف الجراد والجفاف فهما ظاهرتين مألوفتين في إقليم مدينة الجزائر والجفاف الذي يحدث في فترات متباعدة وأما الزلازل والأحوال الجوية الرديئة كانت أثل حدوث إلا أن الزلازل التي تمثل بطبيعتها كارثة مدمرة³.

فقد كان تقصير كبير جدا من طرف الحكام لمواجهة الأفراد والأوبئة بسبب عدة وجود سياسة واضحة لتجنب هذه المخاطر الصحية التي كانت تفتك وتهلك الكثير من السكان مما دفع الحكام إلى الهروب من المناطق التي تنتشر فيها الأوبئة مع عائلاتهم إلى المناطق المعزولة على السكان⁴.

ومن الأسباب التي أدت إلى تدهور النمو الديموغرافي قلة الأدوية التي زادت الحالة الصحية سوءا بالإضافة إلى إيمان الشعب الجزائري بالقضاء والقدر وفي تلك الفترة كان الناس

¹ توفيق دحماني، الأوضاع الصحية والكوارث الطبيعية، المرجع السابق، ص 88، 137.

² مؤيد محمود حمد المشهداني، سلوان رشيد رمضان، أوضاع الجزائر خلال الحكم العثماني 1518-1830 م، "مجلة

الدراسات التاريخية والحضارية"، مج5، ع16، جامعة تكرت، 2013م، ص 433، 434.

³ ناصر الدين سعيدوني، الحياة الريفية، المرجع السابق، ص 335، 336.

⁴ عثمان بوحجرة، المرجع السابق، ص 73.

الذين يؤمنوا بالعلاج والتداوي واتخاذ الأسباب قليلون، فالطب والتداوي كان أضعف حل يفكر فيه عامة الناس وذلك لعدم إهتمام الحكام العثمانيين بالميدان الصحي ولم يعطوه الأهمية التي يستحقها مما أثر سلبا على الأحوال الصحية في الجزائر ولم يتخذوا أي إجراء وقائي ضد تنامي تلك الأمراض التي فتكت بالعديد من السكان وهذا ما يفسر الكم الهائل من الوفيات والإنهيار الديموغرافي للسكان¹، فكانت الأزمة المالية التي واجهت الجزائر في هاته الفترة فقد تعرضت للقحط والمجاعة، ولهذا إندفع القبائليون إلى إعلان تمردهم وعصيانهم فنصبوا كمائن على الطرق المؤدية إلى المدينة، وبدأ بنهب وسلب الأرزاق المتجهة إليها، فحرمت المدينة من الأرزاق وتعرضت لمجاعة شديدة كما أن القوة التي وعد الديوان الهمايوني بإرسالها إلى الجزائر لإستعادة وهران لم تصل إلى الآن، فإزداد التذمر والغضب بين عامة الجزائريين وأدركوا أن الديوان الهمايوني لا يزال مستمرا في خداعهم.²

كما كان السكان يعتمدون على الزوايا التي كانت تقوم مقام هذه المرافق الصحية لتطبيب أنفسهم، كما اعتمدوا على التداوي بالأعشاب بشكل كبير كالحلبة والقرنفل والتي كانت متوفرة في بعض الحوانيت، وهذا ما زاد سوء الحالة الصحية للسكان والتي غالبا ما كانت تنتهي بالوفاة، كما إعتدوا على الشيوخ والمشعوذين للعلاج.³

فقد تسبب هذا الوضع الصحي المزري تحولات جذرية في نمط حياة لبعض القبائل فإندثرت بعض الأسر والقبائل بأكملها، كما طرح الوباء مشكلة الإرث سواء على مستوى المدن أو الأرياف.

¹ يمينة مجاهد، المرجع السابق، ص 35، 36.

² سامح عزيز ألتتر، المرجع السابق، ص، 486.

³ عائشة غطاس، الوضع الصحي خلال العهد العثماني...، المرجع السابق، ص، 128.

وقد أشار "توماس شو" "Thomas show" أن هناك عوامل ساعدت على انتشار الأمراض والأوبئة بسرعة وجود مستنقعات بالسهول الساحلية والظروف المناخية التي كانت تعرفها البلاد من فترة الأخرى من جفاف وفيضانات وزحف الجراد وعدم وجود ثقة الالتزام بالقواعد الصحية في حالة وجود وباء أو مرض أو عدم وجود أدوية ناجعة.

بالإضافة إلى تزامن الوباء والمجاعات مع كوارث طبيعية أدى إلى انهيار النمو الديموغرافي، كالتي بدأت في الظهور حوالي سنة 1786م، وكما يصادف أيضا وباء سنة 1817م، الزلزال الذي ضرب مدينة الجزائر خلال الفترة، فجعل الخسائر تتضاعف على مستوى عدد ساكنة المدينة بشكل جعل المدينة تبدو وكأنها مدينة أشباح¹.

كما أن وباء الطاعون الذي أنسبه الأطباء أنه العامل الأكبر في كل هذه الظواهر المريعة التي خلفها من هلاك ودمار العديد من السكان كما جعل السلطات المحلية عاجزة أمامه بحيث لا تستطيع اتخاذ أية تدابير وقائية ضده لما كان من اختلاف بين رجال الدين فيما يتعلق بمعاملة المصابين ومعالجتهم فمنهم من يدعو إلى الإحتراز² معتمدا على قوله تعالى: " وَلَا تَلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ"³.

بالإضافة إلى انعكاسات المجاعة على الوضع الديموغرافي فقد تسببت في إنتشار الآفات الاجتماعية كالخمر والميسر والإنحطاط، حيث أصبح السكان يقومون بإرتكاب الجرائم الخطيرة حتى يقام بإدخالهم إلى السجن كي يستفيدوا من المأوى والقوت بعدما إنتشرت البطالة وإنعدمت فرص العمل⁴.

¹ خير الدين سعدي، المرجع السابق، ، 297.

² محمد العربي الزبيري، المرجع السابق، ص، 49.

³ قرآن كريم، سورة البقرة، الآية، 195.

⁴ حليلة كربوع، المرجع السابق، ص، 60.

كما أدت مختلف الجوائح التي ضربت الإيالة إلى إستفحال ظاهرة اللصوصية في المجتمع خلال العهد العثماني في أقصى البايك الغرب الجزائري هذا جراء حدوث زلزال الذي خلف 7000 قتيل وأربعة آلاف بقوا تحت الإنقاض، وهلك الحاكم الاسباني للمدينة " DON. Nicolas" ولم يعثر على جثته وتحطم أكثر من نصف المدينة وحدث نيران ملتهمة بعض السفن فقد قاموا بعض الرجال باغتنام الفرصة من اسباني وهران فأمنعوا في نهب الديار الغنية بصفة أفضع.¹

ثالثا: هجرة السكان

عرفت الجزائر خلال الفترة العثمانية هجرة السكان وهي رد من ردود الأفعال الأولية الناتجة عن الآثار الاجتماعية بسبب الأوبئة والكوارث الطبيعية من بينها الزلازل لحجم الخسائر البشرية التي خلفتها المدن.

كما تعتبر المجاعة من الآثار السلبية على الوضع الصحي والمعيشي والديموغرافي أدى إلى هجرة السكان من الأراضي والديار نحو المدن الكبرى خاصة العاصمة بحثا عن الغذاء، حيث مات الكثير في الطرقات بسبب الجوع والتعب حاملين معهم عدوى الوباء إلى المدينة². كما دفعتهم الهجرة نحو الخارج خاصة البلاد الشام منها سوريا حيث بلغ عدد المهاجرين الجزائريين في النصف الثاني من القرن 19م ألف مهام ونحو الحجار بحكم وجود الأماكن المقدسة والإسلامية كمكة المكرمة والمدينة المنورة.³

كما ساهمت الأوبئة في كثر من الأحيان إلى هجرة السكان وحتى الدايات لم يسلموا منها إذ انتقل الباي بأهله ومخزنه إلى البدو وسكنوا في خيام الشعر لمدة طويلة ببلاد أولاد سليمان أحد بطون أولاد عامر وسمي ذلك العام بعام الخيمة الحمراء.⁴

¹ كاميليا دغموش، حمدادو بن عمر، المرجع السابق، ص، 345.

² صليحة علامة، الأحوال الصحية، المرجع السابق، ص، 96.

³ حليلة كربوع، المرجع السابق، ص، 59.

⁴ نادية فتيسي، أوضاع الجزائر في عهد محمد بن عثمان باشا إلى غاية عهد حسن باشا، الأوضاع الاقتصادية والسياسية أنموذجا، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، تاريخ عام، جامعة 08 ماي 1945، قالمة 2018، 2019م، ص، 128.

كما مثلت هجرة السكان سواء داخلية أو خارجية بسبب موجات القحط والجفاف التي تركت آثارا في تفكك وفتور في العلاقات الاجتماعية داخل المجتمع وينطبق عليهم قول ابن حبيب: "تشتت شمل القوم بعد الاجتماع وتفرقوا شذر مذر" وهذا ناتج عن أزمات الجوع فإنها حاجيات السكان إلى تأمين غذاءهم أدى بهم إلى الهجرة.¹

¹ فتيحة مسعودي، المرجع السابق، ص، 193.

المبحث الثاني: على الجانب الاقتصادي

أولاً: القطاع التجاري

شهدت الجزائر في العهد العثماني انعكاسات سلبية للكوارث الطبيعية والأوبئة تمثلت في إنكماش الحركة التجارية وإضعاف السوق وارتفاع الأسعار وإضطراب طرق القوافل التجارية نتيجة غياب الأمن الغذائي وتفشي المجاعة.

يعد العنصر البشري المحرك الأساسي للحياة الاقتصادية في حين تعد الأوبئة والمجاعات بشكل عام أحد المعوقات النشاط البشري، فقد كان للطاعون الذي تردد على الجزائر خلال القرن الثامن عشر ميلادي أثره المدمر على السكان ونشاطهم الإقتصادي حيث أثر الوباء 1750م والمجاعة المرعبة التي نتجت عنه ركود الحركة التجارية بين الجزائر وباقي موانئ البحر الأبيض المتوسط التي كانت معلقة أمام السفن التجارية، الأمر الذي أدى إلى عجز تجاري هام، كان له صدى سلبي على إقتصاد البلاد.¹

إلا أن النشاط التجاري بإيالة الجزائر تأثر سلبا بالوضع الصحي وأوبئة الطاعون خاصة وباء عام 1755م الذي أدى إلى عرقلة النشاطات التجارية بين بايلك قسنطينة وإيالة تونس التي فرضت حجرا صحيا على البضائع الآتية من الشرق الجزائري، حال وباء 1787م دون ممارسة اليهود لتجارتهم المتمثلة في تجارة الرثا في حين كانت تدر عليهم أرباح كثيرة لكن بعد ذلك واصل اليهود تجارتهم رغم خطورة الملابس والأثاث المستعمل على صحة السكان خاصة أثناء إنتشار الأوبئة في الجزائر.²

كان لليهود ومختلف التجار الأجانب يصدرون المنتوجات الفلاحية والحيوانية إلى فرنسا، كما صدرت المؤسسات الفرنسية في نفس السنة نحو مرسيليا حوالي خمسمائة بقرة قامت

¹ صرهودة يوسفي، المرجع السابق، ص، 656.

² فلة موساوي القشاعي، المرجع السابق، ص، 301.

بشرائها دفعة واحدة وتعتبر أول مرة تخرج فيها أبقار إيالة الجزائر نحو أوروبا، إثر وباء 1799م أغلقت كل المؤسسات التجارية الفرنسية في الجزائر.¹

فقد أثر طاعون الذي ضرب مدينة الجزائر 1792م على تجارة القوافل التي كانت بين الجزائر والمغرب، حيث أقام سيدي محمد بن عبد الله نطاقا عسكريا في الحدود الشرقية لوقاية مملكته من الوباء، كما بدأت الهيئة القنصلية المقيمة بطنجة في اتخاذ إجراءات صحية وقائية على الواجهة البحرية وقد تمكنت سنة 1793م من إنتزاع موافقة مولاي سليمان على فرض حجر الصحي ضد الجزائر² إلى أن الأوبئة سببا رئيسيا في الركود التجاري والصناعي بمدينة عنابة وذلك أنها تهاك أعدادا كبيرة من الصناع والتجار وتترك السوق مفتوحة للتجار الأجانب لتصدير الإنتاج المحلي وفي هذا الصدد نلاحظ وبعد الوباء بعام تضاعفت كمية الأصواف المصدرة والمجلوبة من البوادي المحيطة خاصة بعد أن قضى الوباء على أغلب النساجين ولم يعد هناك من يقوم بمعالجة الأصواف وحياسة البرانس³.

كما كانت مطالبة القنصليات الأوروبية في مدينة الجزائر من حكامها إلزام سفن لإيالة بالابتعاد عن السفن الأوروبية، طالما بقيت تعاني من الوباء لخوف القناصل من إنتقال الوباء لبلدانهم وهذا ما حدث فعلا في سنة 1818م، في فترة حكم الداوي حسن الأمر الذي إنعكس سلبا على الحركة التجارية.⁴

ويتبادل السلع في المسار البحري الرابط بين الإيالة والموانئ الفرنسية خاصة والدول الأوروبية عامة، وهذا ما تؤكدته إحدى المراسلات السابقة لهذا التاريخ والتي كانت في سنة 1756م بحيث أشارت إلى أنه يوجد بعض الإشكالات في التبادلات التجارية مع الإيالة

¹ محمد العربي الزبيري، المرجع السابق، ص، 52.

² محمد الأمين بزاز، المرجع السابق، ص 87.

³ ناصر الدين سعيدوني، وراقات جزائرية، المرجع السابق، ص 463.

⁴ J.I.G. Gyon, histoire chronologique des épidémies du nord de l'afrique depuis les plus reculés jusqu'à nos jours imprimerie du gouvernement, Alger, 1855, p 383.

الجزائرية بسبب الطاعون المنتشر بها في العديد من المدن، لذا رأت المراسلة أنه من الأفضل التريث قليلا في التبادلات التجارية.¹

يمكن القول أن الأوبئة تقف عقبة أمام التجارة لكن لا تشلها إذ تستفيد منها أطراف أخرى ويمكن تصنيفها أحد المخاطر المهنية، فعمليات التصدير كانت تتم دون مراعاة سنوات القحط أو المجاعات مما اضطرت الإيالة إلى إستيراد كميات من القمح من موانئ البحر الأسود في 1800م...، نتيجة لمجاعات أصابت البلاد إرتفعت الأسعار حتى بيع القمح ب 28 ألف لصاع، فكميات القمح التي استنزفت والتي مونت حكومة الثروة الفرنسية لم تعد موجودة للتخفيف من حدة المجاعة التي أصابت البلاد في سنوات 1804م-1805م، وفي سنة 1816م ما إن شاع خبر ظهور الوباء حتى هاجرت أعداد هائلة من المدينة نحو المناطق الداخلية وكادت المدينة أن تصبح خالية وشل النشاط التجاري بل أن بعضهم أصبح يتوقع استيلاء المسيحيين على المدينة، كما تأثرت المبادلات التجارية في مدينة عنابة بالوباء فهذه رسالة من ممثلي الشركة الفرنسية إلى باي قسنطينة بتاريخ 24 جوان 1822م للسماح لهم بغلق المركز التجاري التابع لهم بالمدينة.²

ثانيا: القطاع الزراعي

شهدت الجزائر في العهد العثماني (1518-1830م) سلسلة من الكوارث الطبيعية والأوبئة التي كان لها أثر بالغ في مختلف القطاعات على رأسها القطاع الزراعي الذي كان يمثل العمود الفقري للاقتصاد والمعيشة، فقد عانت البلاد من ظاهرة الذي كان سببا في تدهور القطاع الزراعي فتراجع الإنتاج وتقلصت المساحات الزراعية مما انعكست سلبا على الفلاحون وتعرضوا إلى ضغوطات كبيرة على استقرارهم الإجتماعي والإقتصادي.

خير الدين سعدي، المجاعات والأوبئة في الجزائر، المرجع السابق، ص، 281.¹

صرهودة يوسف، المرجع السابق، ص ص، 687، 657.²

1. العوامل المؤثرة في الزراعة:

أ. السياسة الضريبية:

تميزت سياسة الحكم خلال عهد الدايات ببعض من الهيمنة خاصة بعد إتباع أسلوب يعتمد على القوة والإخضاع، دون مراعاة ظروف وأحوال الأهالي وهذا ما تسبب في حدوث الإضطرابات واندلاع الثورات وتجدد الإنتفاضات لهذا لم تكن العوامل الطبيعية وحدها في تراجع الإنتاج بل كان للإجراءات التي إتجأ إليها حكام الجزائر وللممارسات وتصرفات القائمين على إدارة المدينة وقد تأثرت المواسم الفلاحية بأسلوب المصادرة والتغريم وكذلك تأثر الإنتاج بإقتطاع كميات هامة منه في شكل ضرائب فصلية أو جبايات سنوية¹، وقد أثرت هذه السياسة المنتجة من طرف الدولة في ضعف وانخفاض مداخل البلاد الواردة من القطاعات الإقتصادية الأخرى، حيث قامت الدولة برفع قيمة الضرائب في القطاع الفلاحي، فبعد الضغط على الفلاحين هاجر العديد منهم إلى وديان الأطلس القريبة من متيجة لإنتاج الضروري من المحاصيل ومنها من إنتقل إلى الهضاب العليا منتقلين بخيامهم بحثا عن المراعي ونقاط الماء²، فتخلى الفلاحين على النشاط الزراعي بسبب اضعاف المبالغ الضريبية مما جعلهم يلجئون للجبال والصحاري للفرار من حياة الضرائب³، كما تحول الكثير منهم إلى تربية المواشي الأمر الذي يسهل عليهم الفرار من الضرائب، فكانت السلطات التركية تلجأ إلى مضاعفة الضرائب على سكان الريف⁴.

إضافة إلى ذلك فقد سبب الإحتكار التجاري للحبوب من أجل الحصول على المواد الأولية من الفلاحين بأثمان زهيدة، وأسعار بخسة للشركات الأوروبية المحتكرة وللتجار اليهود

¹ سعاد عقاد، الفلاحون الجزائريون والسلطة العثمانية...، المرجع السابق، ص، 67.

² ناصر الدين سعيدوني، دراسات تاريخية في الملكية...، المرجع السابق، ص، 105.

³ وليام شالر، مذكرات وليام شالر، المرجع السابق، ص، 59.

⁴ ناصر الدين سعيدوني، الجزائر في العهد العثماني، المرجع السابق، ص، 92.

أمثال (بكري وبوشناق) وهذا ما قضى على إمكانية تحسين الأحوال الزراعية مع هروب الفلاحين وقطيعة الطبعة الحاكمة وهجرتهم من الأسواق إذ لم يعودوا يأتون بإنتاجهم إليها.¹ وعلى الرغم من تنوع المحاصيل الزراعية في الجزائر في أواخر فترة الدايات كانت تعاني من صعوبات عدة ومشاكل أعاققت من إزدهارها وتطورها² وتكمن في الآثار السلبية التي نتجت عن إهتمام الحكام بالقرصنة على حساب الفلاحة الأمر الذي حال دون تطوير الأساليب الزراعية المتبعة والآلات البدائية المستعملة حيث اعتمد الفلاح الجزائري آنذاك على المحراث الخشبي والمنجل البدائي وغيرها من الوسائل التقليدية.³

ب. الكوارث الطبيعية والأوبئة:

فقد أثرت الكوارث الطبيعية والأوبئة تأثيرا كبيرا على حياة السكان من بينها المجاعة التي أدت إلى ندرة الأقوات والتي تركت أثارا دائمة على الإنتاج الزراعي، مما يعود إلى أن المجتمع الجزائري أثناء العهد العثماني يعد مجتمعا فلاحيا وهذا ما قدره بعض المؤرخين أن نسبة سكان الأرياف بأكثر من 90% فإهتمام سكان المناطق الجبلية وسكان السهول القريبة من المدن بزراعة الخضر والفواكه إلى جانب تربية الماشية، كما اشتهرت أرياف مدينة الجزائر بإنتاج العنب في حين عرفت المناطق الجبلية والسهلية بإنتاج زيت الزيتون والتين⁴، فقد مر واقع الزراعة قبيل الإحتلال الفرنسي بثلاث فترات متباينة من حيث توالي سنوات الرخاء وفترة الإنتاج وسنين القحط وندرة المحاصيل وتعاقب الكوارث الطبيعية وهذا ما وضحه الباحث والدكتور ناصر الدين سعيدوني:

- فالفترة الأولى: غطت سنوات التي سبقت عام 1791م حيث عرفت مقاطعة الجزائر نوعا من الرخاء استمر إلى غاية نهاية القرن 18م.

¹ ناصر الدين سعيدوني، دراسات تاريخية في الملكية، المرجع السابق، ص، 105.

² عمار بوحوش، المرجع السابق، ص، 63.

³ وليام سبنسر، المصدر السابق، ص، 146.

⁴ ناصر الدين سعيدوني، الحياة الريفية، المرجع السابق، ص ص، 325، 329.

- الفترة الثانية: فامتدت من عام 1792م إلى عام 1815م تميزت بأزمات إقتصادية حادة إلا أنها لم تصل إلى حد الكارثة.
- الفترة الثالثة: تمثلت في السنوات الأخيرة من عهد الجزائر في الفترة العثمانية عام (1815-1830م) والتي ساءت فيها الأوضاع إلى أن أصبحت الإيالة الجزائرية تعيش إنحطاطا إقتصاديا وكان أحد مظاهره البارزة إنهاء الزراعة¹، وعليه فإن وضعية الإنتاج الزراعي بالجزائر، إرتبط أساسا بالعوامل المؤثرة في الحياة الريفية وكذلك لتأثير سنوات القحط والوباء على تطور كمية الإنتاج وأسعاره، كما أن هاته الفترة أثرت تأثيرا كبيرا على مستوى إنتاج الحبوب خاصة، فقد ظلت المحاصيل الزراعية متوفرة كوجود المواسم الفلاحية².
- كما تعرضت الجزائر إلى سلسلة من الزلازل التي تسببت في خسائر مادية وبشرية نذكر منها زلزال 1716م، 1717م، 1755م وزلزال مدينة وهران 1790م، وزلزال البليدة ومنتجة 1825م، إضافة إلى الجفاف الذي كان متبوعا بزحف الجراد 1815م مخلفا آثارا سلبية على الإنتاج الفلاحي، كما عرفت سلسلة من الأوبئة في مقدمتها الطاعون وضرباته المتكررة ففي سنة 1702م تسبب هذا الوباء في إهمال الزراعة وترك مساحات واسعة³، وأدى هنا الوضع إلى إرتفاع الأسعار للمواد الغذائية في الأسواق إذ بيع الصاع الواحد من القمح بثمانية وعشرين فرنكا⁴، ففي فترة 1794م نقص الإنتاج الزراعي وتفشيت الأمراض فاضطر الباي صالح باي إلى التصريح إلى الشركة الملكية لإفريقيا لإيقاف تصدير الحبوب بسبب شدة الأمراض والأوبئة⁵.

¹ ناصر الدين سعيدوني، الحياة الريفية، المرجع السابق، ص ص، 340، 341.

² محمد الزين، المرجع السابق، ص، 131.

³ رشيد حفيان، الكوارث الطبيعية وآثارها في الجزائر خلال العهد العثماني، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ، كلية الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2020، 2021م، ص، 47.

⁴ صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي، المرجع السابق، ص ص، 335، 336.

⁵ ناصر الدين سعيدوني، الملكية والجبابة في الجزائر، المرجع السابق، ص، 95.

ظاهرة المجاعة مرتبطة في تدهور الأحوال الزراعية السائدة في الجزائر مما أدى إلى تقهقر الوضع الإقتصادي.¹

كما أن الوباء الذي شهدته الإيالة سنة 1793م - 1804م أضر بشكل كبير على سكان الريف بمقاطعة الجزائر خاصة (دار السلطان) وتسبب في تضاءل الإنتاج الفلاحي بعد أن إنتقلت العدوى الناتجة عن الطاعون إلى الفلاحين بالحقول والبساتين إثر فرار عدد كبير من السكان إليها، أما داخل المدينة فإن الوفيات من جراء هذا الوباء فقد قدر بما لا يقل عن 12000 نسمة، وهذا ما جعل كل نشاط بأسواق المدينة يكاد يتوقف في ربيع عام 1793م وخاصة في شهرين مارس وأفريل كما أصاب المدينة شلل بسبب إشتداد وطأة الطاعون في ربيع 1797م، بحيث كانت المقابر تستقبل يوميا ما بين 20 و 25 فردا من المتوفين بالوباء²، وفي سنة 1816-1822م ظهر وباء تسبب في اهمال جزء كبير من الأراضي الفلاحية وصلت نسبة الوفيات إلى مستوى عالي قدر ب 33013 وفاة في الفترة الممتدة من 21 جوان إلى 06 سبتمبر 1818 منها 6092 وفاة في شهر أوت وسبتمبر، وأما فيما يخص الزلازل فقد سببت المجاعة وكذلك إلى دمار البيوت والعتاد الزراعي وقضت على البشر والمواشي والزلازل التي أجبرت الفلاحين على ترك خدمة الأراضي مؤقتا.³

كما يعتبر الجفاف السبب الرئيسي لندرة وغلاء الحبوب وذلك راجع لندرة تساقط الأمطار، فالقمح يحتاج خلال فترة نمو السنابل الكثير من الماء وإذ تأخر المطر وإنعدم يكون المحصول متواضعا وريثيا، وهذا ما يعكس في إلتهاب الأسعار لعدة أسابيع وبسبب الإحتياجات كما حصل في عامي 1800م و1816م، وعلى العكس من ذلك يساعد تساقط الأمطار بكميات كافية على إرتفاع المردود وإنخفاض كلفة الحياة وتراجع تدريجي في الأسعار إلى مستوياتها العادية كما حدث في سنوات 1808-1813م⁴، وذلك يمكن النظر إلى مواصفات المناخ

¹ المرجع نفسه، ص، 100.

² فتيحة مسعودي، المرجع السابق، ص، 219.

³ حمدان خوجة، المصدر السابق، ص، 8.

⁴ فلة موساوي القشاعي، الصحة والسكان، المرجع السابق، ص، 12.

المتوسطي السائد بالجزائر الشمالية ظاهرة طبيعية ولعل هذا ما جعل نزول المطر في فصل الربيع بمثابة المؤثر على حلول الرخاء أو توقع القحط¹، فإذا إنقطعت الأمطار في شهر مارس وأفريل وتكرر ذلك لسنة أو سنتين فإنه لا مناص من ندرة المحاصيل الزراعية وحلول القحط، وبالتالي تؤثر في المردود الزراعي مما يدفع بالإيالة في بعض الأحيان إلى إستيراد كميات كبيرة من الجبوب هذه الظاهرة تساهم فيها عدة عوامل إلى جانب قلة التساقط منها الرياح الجافة القادمة من الجنوب خاصة شهر جويلية وأوت مما يتسبب في إنعكاسات فيما بعد على شكل أوبئة ومجاعات.²

لقد تسبب وباء الطاعون المتكرر في تأثير الإنتاج الفلاحي، لذا تسبب وباء 1702م في مجاعة شديدة نتجت عن قلة المحاصيل الزراعية، حيث كانت تفتقر لليد العاملة ربما جراء الفقر والجوع وبالتالي كانت المحاصيل الزراعية غير كافية مما أدى إلى إهمال الزراعة من طرف الفلاحين وأصبحت أراضي واسعة غير مزروعة ومما ساعد على تضرر المحاصيل الزراعية بشكل كبير زحف الجراد ولعل أهم السنوات التي عرفت الجزائر فيها أسراب زحف الجراد هي، 1770م، 1716م، 1725م.³

ج. الآفات الزراعية (الجراد):

خلال العهد العثماني في الجزائر كان الجراد من أخطر الكوارث الطبيعية التي مست الزراعة إذ كانت أسرابه تجتاح الحقول فتختلف المحاصيل الأساسية من القمح والشعير مما أدى إلى مجاعات وإرتفاع الأسعار وإنتشار الأوبئة، فقد شكل الجراد عاملا من عوامل الإضطراب في الإستقرار المعيشي ومظهرا من مظاهر هشاشة البنية الزراعية في الجزائر العثمانية.

¹ ناصر الدين سعيدوني، الملكية والحباية...، المرجع السابق، ص، 100.

² ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي، المرجع السابق، ص، 111.

³ حفيظة عتوان، ربيعة إرسان، الظاهرة الوبائية في الجزائر خلال عهد الدايات (1671-1830م)، أسبابها وانعكاساتها، مذكرة لنيل شهادة الماستر، تخصص تاريخ الجزائر الحديث، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الجبيلي بونعامة، خميس مليانة، 2018-2019، ص ص، 78، 79

ساعدت الظروف المناخية السائدة بالجزائر على إنتشار ظاهرة الجراد وارتبط ذلك بظروف المناخ الصحراوي في الجنوب بحيث أثر بدوره على مناطق الهضاب العليا الرعوية في الوسط والمناطق الزراعية الخصبة المحاذية للبحر في الشمال ولقد عانت منه الجزائر بشكل مأساوي كل أربع أو خمس سنوات، لذا إعتاد السكان زحف الجراد عقب سنوات الجفاف¹، علما أنه عندما يشتد الجفاف لفترة طويلة نسبيا وتهطل بعده الأمطار المتأخرة بنسب كبيرة تسبب في حدوث فيضانات مفاجئة فإن ظهور الجراد بكثرة بعد ذلك يكون شبه مؤكد وإجتياحه للحقول أمر لا يمكن تجنبه، كما أن إنتشار المجاعة وحلول الوباء بعده يكون نتيجة طبيعة لانهايار الإنتاج الزراعي كما حدث عام 1722م، عقب تعرض الأراضي الزراعية إلى جراد مدمر أتى على الأخضر واليابس²، وهذا ما تكرر في سنتي 1815م و1817م، فجراد 1815م كان ظهوره مفاجئا في نهاية الربيع وبداية الصيف وقت نمو المحاصيل، وكان من الكثافة بحيث أسرابه غطت الحقول والبساتين بسهل متيجة ومنطقة الساحل وفحص كل من الجزائر والبليدة والقلية، وهذا ما وصفته أحد التقارير الفرنسية بهذه العبارات: " في صائفة 1815م حل بمملكة الجزائر العثمانية جيش من الجراد قدم من الصحراء فدمر جزء كبيرا من المحاصيل"، كما وصفه احد الملاحظين الأوروبيين الذين عايشوا آثاره بقوله: " لا يمكن تصور الخراب الذي تركته جحافل النمل الطائر بأرياف الجزائر"³.

عرفت بايلك الشرق الجزائري قحط ومسغبة كانت نتائجها وخيمة جدا على الديموغرافيا والإقتصاد مما ترتب عن هذا فقدان المواد الغذائية وارتفاع الأسعار، أما الجراد فقد تسبب بدوره في حدوث مجاعات مما أدى إلى هلاك الكثير من السكان، ونذكر من هذه المجاعات مجاعة 1770م إلى سنة 1774م وذلك بسبب الجراد.⁴

¹ كوثر العايب، العلاقات الجزائرية التونسية خلال عهد الدايات (1711-1830م)، ماجيستر في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الوادي، 2013-2014م، ص، 18.

² سعاد عقاد، الفلاحون الجزائريون والسلطة...، المرجع السابق، ص، 58.

³ ناصر الدين سعيدوني، الملكية والحباية، المرجع السابق، ص، 101.

⁴ فلة موساوي القشاعي، الصحة والسكان...، المرجع السابق، المرجع السابق، ص، 79.

أما مجاعة 1778م و1779م كانوا يموتون في الشوارع من شدة الجوع في مدينتي قسنطينة والجزائر¹، فمجاعة 1787م و1789م فقد كان من أسبابها إنتشار الجراد وكذلك مجاعة 1794م التي عمت من خلالها الفوضى كما أن مجاعة سنة 1804م وإجتياح الجراد أدى بالقحط وإضطر الأهالي إلى بيع أولادهم مما جعل محمد الصالح العنتري، يقول: " القحط والجوع أدى بالناس إلى التآكل"².

حيث كانت هناك العديد من الحقول مغطاة بأكوام الجراد إذ غالبا ما كانت تتبع الرياح التي تحملها عندما تهب فإذا دفعتهم ريح الجنوبية من مكان ما ثم إعادتهم ريح شمالية فإنهم لا يغادرون المكان حتى يضعون بيضهم ثم يأكلون المزروعات وجميع النباتات على الأرض وكل الأشجار المثمرة حتى أنهم يحجبون الشمس وباستطاعتهم تدمير حقلا كاملا في 12 ساعة وغالبا ما تؤدي جثث الجراد المنتشرة إلى تعفن الجو وإنتشار الأمراض³، فكثيرا ما كانت وفود الجراد على منطقة ما نذير شؤم لا يبقى أثره منحصرا في تلك المنطقة بل يتعداها إلى غيرها، فأسراب الجراد هذه كثيرا ما دمرت المحاصيل الزراعية وسببت المجاعات بشكل مباشر⁴، وتكمن خطورة الجراد في إتلافه للمزروعات ولعل أخطر أنواعه على الإطلاق حسب ما يقره علماء الزراعة هو الجراد الصحراوي⁵.

وهذا ما أكد عليه أحمد الشريف الزهار في قوله: " وجاء الجراد أوله أتى طائرا، ثم غرس وأقام أياما في الأرض ثم خرج وأكل الزرع والأشجار والثمار ووقع الغلاء"⁶ فدق ترتب عنه

¹ ناصر الدين سعيدوني، الجزائر في التاريخ العثماني، المرجع السابق، ص، 90.

² محمد صالح العنتري، مجاعات قسنطينة، المصدر السابق، ص، 39.

³ Peyssonnel des fontaines, voyages dans les régences de tunis et d'Alger, paris, 1838, p 331.

⁴ خير الدين سعدي، المرجع السابق، ص، 76.

⁵ مزدور سمية، المرجع السابق، ص، 117.

⁶ أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص، 117.

عدة مجاعات مما أجبر الداي عمار باشا على توزيع القمح على الخبازين وجعل له سعر أعلى أيام الرخاء تقاديا للإضطرابات وبقي الأمر على هذا الحال إلى أن وجد زرع جديد.¹ وكما ذكر "وليام شالر" أنه في صيف 1810م زارت هذه البلاد جحافل الجراد التي دمرت كل ما مرت به في طريقها من أخضر، وبهذه المناسبة صدرت الأوامر إلى عدة مئات من اليهود للخروج لوقاية حدائق الداي وبساتينه الشخصية، حيث اضطروا للعمل والحراسة بالليل والنهار ما دام الجراد يعيث فسادا في البلاد.²

كما إجتاج الجراد منطقة التل عام 1816م وأغلق الإنتاج الفلاحي وللحد من حدة الأوبئة أصدر الداي قرارا يقضي بمنع تصدير الحبوب في كل من قسنطينة ووهران، ليس هذا فحسب بل إستورد كميات هائلة لتموين مدينة الجزائر ولم يمنع ذلك من وقوع اضطرابات هذه المرة، فظاهرة بروز أسراب الجراد المتكررة خطرا كبيرا هدد المزارعين في حقولهم وبساتينهم وهذه ظاهرة لفتت انتباه "بوتان" "Boutin" جاسوس نابليون حيث تعرض في تقريره الشهير إلى غزو الجراد الذي صاحب القحط عام 1794م فأتلقت الغلات والمنتجات وارتفعت الأسعار إرتفاعا فاحشا³، الأمر نفسه يتكرر في سنوات مختلفة ويؤدي غالبا إلى نفس النتائج فنقف فيما ذكره "دي غرامون" من مجاعة أصابت البلاد كنتيجة حتمية لغزو الجراد وكل ما وجد في طريقها من بساتين حيث غدت كأنها لم توجد من قبل تماما⁴، فقد خلفت غزوات الجراد سواء الزاحف أو الطائر منه دمارا شاملا خاصة في المحاصيل الزراعية بمختلف أنواعها من زرع وخضر وأشجار الفواكه علما أن ظهوره يتزامن مع فصل الربيع (مارس) مثل الذي حدث في الجزائر عام 1724م-1725م.⁵

¹ ناصر الدين سعيدوني، الحياة الريفية، المرجع السابق، ص، 340.

² وليام شالر، المصدر السابق، ص، 90.

³ عائشة غطاس، الحرف والحرفيون...، المرجع السابق، ص، 57، 60.

⁴ خير الدين سعدي، المرجع السابق، ص، 77.

⁵ رشيد حفيان، الكوارث الطبيعية وآثارها...، المرجع السابق، ص، 303.

ثالثا: القطاع الصناعي والحرفي

عرفت الجزائر خلال العهد العثماني (1518-1830م) أوضاعا إقتصادية لا سيما في القطاع الصناعي، فالكوارث الطبيعية والأوبئة تسببت في ندرة المواد الأولية التي كانت تمثل قاعدة الصناعات التقليدية التي كانت مرتبطة إرتباطا عضويا بالموارد الزراعية فمخلفات الطاعون أدى إلى تقلص اليد العاملة الصناعية نتيجة إرتفاع عدد الوفيات وهلاك العديد من السكان.

عرف النشاط الصناعي مرحلة التقهقر منذ بداية القرن 18م وظل متواضعا لا يتعدى الصناعات المحلية البدوية وبعض الصناعات المعدنية التمويلية، إن النقطة الأكثر أهمية للملاحظة حول الصناعات المحلية أنها كانت تعتمد في نشاطها على إرضاء متطلبات أسواق المدن والأرياف من المصنوعات البدوية مثل: صناعة الأغذية الصوفية والبرانس والزرابي والفخار... إلخ¹، كما أن ظهور المجاعات والثورات والحروب لها دورا فعالا في إنحطاط وتدهور الأحوال الإقتصادية فالحرفيين كانوا يتعاملون مع المؤسسة العسكرية فكانوا يزودونها بمنتجاتهم كالملابس والسروج والأواني الفخارية والأحذية والأدوات الحديدية والخبز وغيرها وربما تقلص عدد الجنود في أواخر القرن 18م ومطلع القرن 19م أدى إلى إنعكاس سلبي على صناعتهم وإنخفاض مبيعاتهم إلى جوانب عوامل أخرى²، فتعرضت الجزائر إلى الأوبئة والمجاعات بشكل عام أحد معوقات النشاط البشري فقد كان الطاعون الذي تردد على الجزائر خلال القرن 18م وأثره المدمر على السكان ونشاطهم الإقتصادي أثر على اليد العاملة في صناعات الحرفية والأنشطة المرتبطة بها³.

¹ حنيفي الهلايلي، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط1، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2008م، ص، 157.

² فتيحة مسعودي، المرجع السابق، ص، 218.

³ صرهودة يوسف، المرجع السابق، ص، 655.

والملاحظ أن الصناعة في الجزائر خلال هاته الفترة كانت تحتفظ بطابعها التقليدي نظرا لعدم محاولة تطويرها والنهوض بها فالقطاع الصناعي تعرض لنفس العوامل التي تعرض له القطاع الزراعي نتيجة الكوارث الطبيعية والأوبئة التي حلت بالإيالة مما جعل الصناع يعانون من صعوبة الحصول على المواد الضرورية فإضطروا إلى دفع مبالغ ضخمة لشراء المواد القليلة المتوفرة في الأسواق مما أدى إلى إرتفاع الأسعار ومن أهم العوامل التي أضعفت الصناعة إستيراد المصنوعات الأجنبية التي تنافس مثلتها مما ساهم في ضعف الصناعات المحلية¹، فالنشاط الصناعي بالمدن الجزائرية إنحطت نوعيته وتناقصت كميته فتعرض الصناع والحرفيون إلى أزمة أثرت على كساد مصنوعاتهم وإنخفاض أسعارها في أواخر القرن 18م ويمكن إرجاع هذه الأوضاع السيئة التي كانت تعيشها الصناعة الجزائرية أواخر العهد العثماني إلى ثقل الضرائب وإزدياد المطالب المالية مما فرض الحكام على الصناع الحرفيون على تسديدها أدى إلى إنخفاض مورود الصناع والحرفيين، كما أن منافسة المصنوعات الأجنبية في الوقت التي إضطرت فيه الصناع الجزائريون إلى رفع أسعارهم منتوجاتهم لتغطية الالتزامات المالية وتسديد الضرائب الثقيلة، مما دفع بالحكام إلى اشتراء المصنوعات الأوروبية ويعملون على تشجيع الاستيراد من الخارج وهذا ما ترك أثرا سلبيا على نوعية المصنوعات الجزائرية.² كما لا بد من الإشارة في إرتفاع أسعار المواد الخام نتيجة التدهور الذي أصاب القطاعات الأخرى (الزراعة) فكان له إنعكاسا مباشرا على القطاع الصناعي والحرفي، مما جعل الصناع يعانون من صعوبة الحصول على المواد الأولية والضرورية فإضطروا إلى دفع مبالغ ضخمة لشراء المواد القليلة المتوفرة في الأسواق وقد أدى إلى ذلك إلى إرتفاع أسعار المصنوعات بسبب قلة الإنتاج وإرتفاع أسعار خامتها.³

¹ أرزقي شويتام، نهاية الحكم العثماني في الجزائر، المرجع السابق، ص 63، 64.

² ناصر الدين سعيدوني، الجزائر في التاريخ العهد العثماني، المرجع السابق، ص 61، 63.

³ ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي، المرجع السابق، ص 37.

فقد خصص محمد صالح العنتري في كتابه مجاعات قسنطينة في سنة 1804م والذي يتضمن في تعرض الجزائر إلى العديد من الكوارث الطبيعية ومن بينها المجاعات والقحط التي أحدثت بدورها خسائر مادية وبشرية كبيرة والذي أفادنا بالعديد من الإحصائيات والمعطيات حول هذه الأزمة وما نجم عنها في إرتفاع محسوس لعدد الضحايا وأسعار المواد الاستهلاكية مع انخفاض في الإنتاج الزراعي والصناعي.¹

¹ محمد صالح العنتري، مجاعات قسنطينة، المصدر السابق، ص، 341.

المبحث الثالث: على الجانب السياسي

لم تقتصر إنعكاسات الكوارث الطبيعية والأوبئة في الجزائر خلال العهد العثماني على الجوانب الاجتماعية والإقتصادية بل مست حتى الحياة السياسية فقد أدت الأوبئة وعلى مقدمتها الطاعون على عدد من الحكام، كما ساهمت الكوارث الطبيعية في التأثير على نفسية السكان ومعنوياتهم مما أدى إلى إتساع رقعة التمردات والثورات ضد الحكام.

أولاً: ثورة ابن الأحرش: (1804م)

1. التعريف بابن الأحرش:

هو سي محمد بن عبد الله الشريف¹، ويعرف لدى العامة بابن الأحرش أو بالبودالي أما عن أصله فقد أجمعت معظم المصادر على أنه من المغرب الأقصى وهو رجل مغربي يزعم أنه من شرفاء ملوك فاس، دخل وسط القبائل واتخذ جبال القل معقلاً له ولاتباعه²، إذ وضعه الزياني بأنه "فتى مغربي مالكي مذهب درقاويا طريقة درعي نسبا" كما يذكر الزياني عنه أنه: "إدعى أنه الامام المنتظر وكان صاحب شعوذة وحيل وخبر قرأت منه الناس العجائب وأظهر لهم الغرائب... فنصروه وعمدوا له البيعة حزياً حزياً"³.

وقال عنه محمد صالح العنتري: "أنه صاحب الوقت وأن دعوته مستجابة والنصر يتبعه حيثما يتوجه وبارود عدوه ولا يضره ولا يصيب أتباعه بل يرجع لديهم ماء..."⁴. وقد ورد في بعض المصادر أن ابن الأحرش رجل في مقتبل العمر طويل القامة أشقر اللحية في غاية الصحة، يتصف بالحيلة والطموح والمكر ويشتهر بفصاحة أسلوبه في الحديث وفصيح اللسان ويتميز عن غيره بسعة أفقه وشجاعته وقدرته على الإقناع.⁵

¹ محمد صالح العنتري، مجاعات قسنطينة، المصدر السابق، ص، 29.

² الحاج أحمد بن المبارك بن العطار، تاريخ بايات قسنطينة، المصدر السابق، ص، 111.

³ أرزقي شويتم، نهاية الحكم العثماني في الجزائر، المرجع السابق، ص، 90، 91.

⁴ محمد صالح العنتري، مجاعات قسنطينة، المصدر السابق، ص، 29.

⁵ سعاد عقاد، الفلاحون الجزائريون والسلطة العثمانية...، المرجع السابق، ص، 127.

2. مجريات الثورة:

غزا ابن الأحرش الشريف قسنطينة سنة 1219هـ/1804م وهو يزعم على أنه من شرفاء ملوك فاس، دخل وسط القبائل وهددهم بأخذ قسنطينة فاجتمع على جند عظيم من فرق القبائل الساكنين ما بين جيجل وسكيكدة أكثر من مائة ألف وصار بمجموعه قاصدا قسنطينة وهرب من أهل البادية من طريقه وتحصنوا بالجبال والشعب¹، وقام بشن هجوم على قسنطينة 1804م حيث تمكن من حصر حملة الباي عصمان وقتله ولما وصلت هذه الأخبار إلى الداوي مصطفى باشا (1798م-1805م) أمر رجاله بالقضاء على ثورة ابن الأحرش والتخلص منه ونجحوا في القضاء على ثورته 1806م في نواحي بجاية² ومن أبرز العوامل التي زادت شعبية ابن الأحرش إعلان جهاد ضد الأوروبيين وخاصة الفرنسيين الذين أسسوا شركات الصيد المرجان بالقل وتمكن بالفعل من أسر ستة سفن مسيحية وإستولى على بحارتها وحولهم إلى عبيد ولما أحس بالظروف الداخلية المواتية أعلن ثورته على الحكام العثمانيين حيث أدى إلى إدخال السلطة في فوضى حتى أنه بدأت الحاميات العثمانية في مدن جيجل، القل، عنابة بالانسحاب من شدة الإضطرابات فقد تمكن من السيطرة على مدينة قسنطينة فاتخذها عاصمة له وشرع في تنظيم أمور المدينة والقيام بالجباية وحفظ الأمن وبذلك أصبحت المنطقة الممتدة من ساحل البحر إلى مشارف قسنطينة تابعة له، ومن أجل إعطاء الطابع الديني والجهادي لثورته تقرب من رجال الصوفية الناقلين على الحكم العثماني³، ويقول العنتري عن مدى الأضرار التي تسببت فيها ثورة ابن الأحرش ما يلي: أتلّف فيها خزائن عثمان وإنعدمت الحراثة وإفتقدت الحبوب وقل ما يأتي إلى الأسواق وحصلت للناس شدة ومجاعة أشرق فيها الضعفاء على الهلاك، خصوصا بعض الجهات القبلية فإنهم تشتتوا بسبب الهول في وطنهم⁴.

¹ أحمد بن المبارك العطار، المصدر السابق، ص ص، 111، 112

² أحمد بن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص، 43.

³ إبراهيم عبو، الثورات المحلية في الجزائر خلال العهد العثماني وموقف العلماء مناه، "مجلة متون للنشر والتوزيع"، مج

9، ع4، ديسمبر، 2016م، ص، 20.

⁴ ناصر الدين سعيدوني، الجزائر في التاريخ العهد العثماني، المرجع السابق، ص، 39.

فمشاركة ابن الأحرش في مقاومة الجيش الفرنسي ضد مصر الذي كان يبلغ عدده أربعة وثلاثين ألف جندي مع جماعة من أهالي المغرب الأقصى والجزائر إلى جانب جنود مصريين¹، وأبلى في تلك الحروب بلاء حسنا أكسبه ذكرا وشهرة واسعة ومجدا ولما إنسحبت القوات الفرنسية إلى بلادها انسحب ابن الأحرش إلى المغرب²، ولما بلغ خبره لأمير تونس حمودة باشا بعث له واستقدمه، فلما قدم عليه عظمه وشكر صنيعه، وكانت لدى حمودة باشا دسياسة في خاطره ضد ملوك الجزائر ولم يظهر لهم ذلك خوفا منهم³، فاستغل طموح وشجاعة ابن الأحرش وطلب منه بالثورة على الأتراك في الجزائر ووعده بالدعم والمساعدة.

قدم ابن الأحرش إلى مدينة عنابة على متن سفينة انجليزي، ثم إنتقل إلى مدينة قسنطينة واتخذها مركزا له، ثم توجه بعدها إلى مدينة جيجل وإدعى بإظهار المعجزات والكرامات، وفي نفس الوقت كان قرصانا بحريا، فقد إستولى على سفن المرجان وبهذا إستطاع التقرب من مريدي ومرابطي الطريقة الدرقاوية، ولما يلبث حتى إكتسب أنصار ومؤيدين في مختلف القبائل وأصبحت كلمته مطاعة عند أهالي الوادي الكبير وجبال زواغة وناحية وادي الزهور وكان من بين مناصريه أولاد عبدون وبني مسلم وبني خطاب⁴.

يمكن حصر الأسباب التي أدت إلى قيام ابن الأحرش بالثورة ضد السلطة العثمانية في بايلك الشرق إلى:

مع مطلع القرن 19م عرفت الجزائر سلسلة من الثورات التي قادها مجموعة من المرابطين وشيوخ الزوايا وأرهقت النظام الحربي للجزائر وهددت التواجد العثماني وكانت عاملا حاسما في زواله كما تزامن إندلاع هذه الثورات مع إشتداد التنافس الإنجليزي الفرنسي على إكتساب

¹ ناصر الدين سعيدوني، وراقات جزائرية، المرجع السابق، ص، 267.

² عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، المرجع السابق، ص، 293.

³ أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص، 85.

⁴ ناصر الدين سعيدوني، وراقات جزائرية، المرجع السابق، ص، 267، 268.

مناطق النفوذ داخل نيابة الجزائر وإستحواذ اليهود على مقاليد الحكم وانتشار موجه الإستياء العام لدى السكان إتجاه السياسة الجائرة المطبقة من طرف الدايات.¹

السياسة المجحفة التي إنتهجتها بعض الحكام حيث تميزوا بالإستبداد والقتل والتدمير، وتبذير الأموال وإشباع الرغبات والإهتمام بالمصالح الخاصة وإهمال شؤون الرعايا وهذا واضح في قول العنتري: "... الأتراك في بدء أمرهم عدلوا بين الناس ولم يظلموا أحد وحين تمكنوا صاروا يظلمون الناس ويسفكون دماءهم ويأخذون أموالهم بغير حق ويعدون ولا يوفون ويؤمنون ويغدرون لم يزل ظلمهم يزداد حتى تم وتجاوزوا الحد..."².

تدخل السياسة الأجنبية في تغذية الثورات حيث لقي ابن الأحرش دعما كبيرا من الإنجليز فهذه الثورة كانت تنتظر أقل شرارة لتحرك ولما وجدت الفرصة إندلعت وعادت بالدمار على الشعب والحكومة معا ومهدت السبيل للإحتلال الفرنسي.³

إرتباط الحكام بالأوروبيين والتعامل معهم في إطار الإمتيازات والإحتكارات فكثرت مطالبهم، بينما كان الجهاز الإداري غير قادر على تطوير أساليبه وتبسيط إجراءاته وإحترام قوانينه، وهو ما أدى إلى حركات التمرد والذي نتج عنها تراجع مستمر في مستوى المعيشي وتدهور العلاقات الإجتماعية.⁴

السياسة الضريبية المنتهجة من طرف الحكام الأتراك والتي أدت إلى تقهقر مداخل الخزينة بفعل تناقص غنائم الجهاد البحري وتقلص ثروات سكان المدن لذلك اضطر بايليك قسنطينة أن يغطي جزءا مهما من العجز من خلال فرض الضرائب على سكان الريف التي كانت تستخلص من الملكيات الخاصة (العشور والزكاة)، فقد قدرت ضريبة العشور والزكاة في الشرق الجزائري ب 20.762 صاع من القمح والشعير، كما أن مداخل أراضي العشور تقدر

¹ حنفي الهلايلي، المرجع السابق، ص 22، 23.

² محمد صالح العنتري، فريدة مسينة في حال دخول الترك، المصدر السابق، ص 131.

³ إبراهيم عبو، المرجع السابق، ص 33.

⁴ كمال بن صحراوي، المرجع السابق، ص 133.

سنويا ب 1.330 حمولة جمل ببايليك التيطري¹، إضافة إلى الضرائب التي كانت تأخذ من أراضي القبيلة أو العرش والتي تفرض عليها غرامة سنوية تعرف باللزمة، حيث بلغت في بايليك قسنطينة وحده حوالي 35.700 ريال بوجو، والضرائب المستخلصة من الرسوم الجمركية والسلع المصدرة والاتاوات والرسوم على المحلات التجارية والغنائم البحرية وفدية الأسرى وهدايا القناصل.²

إن النظام الضريبي في الجزائر العثمانية لم يكن عادلا ولا يراعي القائمون عليه طبيعة الإنتاج ولا وضعية الفلاحين وحالتهم³، ما أدى إلى إنتشار السخط بين الناس لعجزهم عن دفع الضرائب فلجأوا إلى الثورات⁴ ففي نفس السياق أشار المؤرخ الجزائري ناصر الدين سعيدوني حول طبيعة الثورات قائلا: "... ومع هذا فإن الثورات بغض النظر عن بواعثها الدينية كانت في واقع الأمر بمثابة رد فعل على التكاليف المالية التي أرهقت كاهل الأهالي من الضرائب وعوائد الرسوم لا سيما بعد تضاءل دور الرجال الدين في التوفيق بين الإستجابة لمتطلبات المالية للجهاز التركي الحاكم وبين مجموعات السكان المحليين المتأثرين بنفوذهم الروحي"⁵. ضعف شخصية باي قسنطينة الباي عثمان الذي حكم من 1803-1804م إذ يذكر المزارى أنه: "... كان غارقا في اليهود وعدم الاكتراث واللامبالاة بشؤون الرعية"⁶.

النظام الضريبي وأثره على الحياة الاجتماعية وعلى السكان بالسلطة والذي يميز طريقة التعامل بين الأهالي ورجال البايك وذلك من خلال أساليب النظام والضرائب، وعمل بالسياسة العثمانية المجحفة ضد السكان التي إتصفت بالنفور وإنعدام الثقة والعداء لأن الرعية كانت محل إستغلال من طرف الحكام من خلال فرض الضرائب ويستوجب عليها دفعها بالإعتماد

¹ ناصر الدين سعيدوني، الجزائر في العهد العثماني، المرجع السابق، ص، 32.

² إبراهيم عبو، المرجع السابق، ص، 306.

³ ناصر الدين سعيدوني، الجزائر في العهد العثماني، المرجع السابق، ص، 33.

⁴ عزيز سامح ألتز، المرجع السابق، ص، 584.

⁴ ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي، المرجع السابق، ص، 57.

⁶ زينب جعني، ثورة ابن الأحرش في بايليك الشرق (1800-1807م)، "مجلة عصور جديدة"، 18، أكتوبر 2015م،

الجزائر، ص، 131

على السلطة أو القوة (رجال الطرق الصوفية) وهذا ما أدى لاستياء العلاقة بين السكان والسلطة¹، في حين كانت سكان المدن لا تتعرض لدفع الضرائب سوء ضرائب محددة ولكن عكس سكان الأرياف تفرض عليها دفع الضرائب والتزمت بدفع أكبر نسبة من المطالب المخزنية وهذا ما أدى إلى عدم التوازن في توزيع الضرائب بين عالم الأرياف والمدن فنتج عنه تدهور مستوى معيشة سكان الأرياف الذين كانوا يعانون من الكوارث الطبيعية والأحوال الصحية المتدهورة.²

العامل الجغرافي والبشري لمنطقة شمال قسنطينة من بين العوامل التي ساعدت ابن الأحرش على الثورة وذلك من خلال حصانة وصعوبة طرقها خاصة المناطق الممتدة بين القل ووادي الزهور إضافة إلى طبيعة وعدد السكان في تلك المنطقة التي تتميز بقابلية الثورة، حيث كان السكان يعيشون بطريقة بدائية يلتجئون إلى المغارات الطبيعية والمخابئ المهياً في سفوح الجبال.³

3. نتائج الثورة وتأثيرها على النظام الفلاحي:

خلفت هذه الثورة خسائر مادية وبشرية فادحة، في الأموال والأرواح والأسلحة فلم ينجو إلا القليل من الجنود الأتراك المؤلفة من أربعة آلاف والقليل من فرق الزواوة هذا زيادة على ضياع البنادق وترك أربعة مدافع في الميدان.⁴

موت الباي عثمان سنة 1804م وتلفت خزائنه التي كانت إحدى الأسباب التي نشأت عنها المجاعة وقلة الحبوب من كثرة الهول وإضطراب الرعية بموت الباي وتشتيت أهل محله فقاموا أهل الأعراس على بعضهم بعض بالتهب والفساد من أجل ذلك الاضطراب وإفتقدت

سعاد عقاد، الفلاحون الجزائريون والسلطة العثمانية، المرجع السابق، ص ص، 126، 127¹

فلة موساوي القشاعي، الصحة والسكان ...، المرجع السابق، ص، 214²

ناصر الدين سعيدوني، وراقات جزائرية، المرجع السابق، ص، 285.³

المرجع نفسه، ص، 291.⁴

الحبوب والزرع بقيام ذلك الهول وعزل إخراجها وقل ما يأتي بها للأسواق مخافة الطرقات وقتئذ.¹

نتج عن الكوارث الطبيعية خسائر مادية وبشرية وانتشار الأمراض والأوبئة وحدثت المجاعات أثرت بشكل حاد على الأوضاع المالية والشرائية للسكان حيث وصف يوسف الزياتي الوضع: " بغلاء الأسعار وكثرة الفساد والعباوث وفناء الأعمار".²

يؤكد الشريف الزهار الهزائم التي ألحقت بالثائر ابن الشريف والخسائر البشرية التي ألحقت به " مات من العرب عدد لا يحصى وكانت تجتمع رؤوس بني آدم مثل الجبال..".³ إلا أن هذه الثورة تسببت اضطرابات في الأحوال الاقتصادية فأهملت الفلاحة وتوقف النشاط الزراعي طوال فترة الثورة وهذا ما أدى إلى ارتفاع أسعار الحبوب وتعطلت الصناعة وركدت التجارة الداخلية لإنعدام الأمن وفقدان الاستقرار.⁴

نتج عن ثورة ابن الأحرش خطورة الأوضاع الاقتصادية فأهملت الفلاحة واختفت الأقوات وحدثت مجاعة عانى من سكان الأرياف والمدن على حد سواء مما أدى إلى ارتفاع الأسعار وغلاء المعيشة وقد عبرت الأشعار الشعبية التي كان يتناقلها الناس بصدق وعمق عن الحالة المعيشية المتردية التي أعقبت ثورة ابن الأحرش وهذا واضح في البيتين التاليين:

تحز من رجالي للفتن التل يخلى وتزول منه الذخائر.

وتصير النخلة برخلة ولا شك تخلى الجزائر⁵

وقد نتج إنتشار الأمراض والأوبئة بسبب المجاعات فمات الجل من الناس والعلماء كالعلامة الإمام والفهامة الهمام الشيخ عبد القادر بن السنوسي الذي توفي بمرض الطاعون

محمد صالح العنتري، مجاعات قسنطينة، المصدر السابق، ص، 1.33

محمد بن يوسف الزياتي، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تح وتق، المهدي البوعبدلي، ط1، عالم² المعرفة للنشر والتوزيع، المحمدية، الجزائر، 2013م، ص، 292.

أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص، 3.73

كاميليا دغموش، حمدادو بن عمر، المرجع السابق، ص، 4.322

ناصر الدين سعيديوني، ورقات جزائرية، المرجع السابق، ص، 5.294

وأخيه الفقيه السيد الهاشمي وابن عمهما الفقيه الأديب الألمعي صاحب تأليف (فتح وهران) السيد المصطفى بن عبد الله وغيرهم، وقد تزامن مع ذلك إجتياح الجراد قسنطينة سنة 1804م فأفسد الزرع والثمار.¹

ومما يلاحظ أن الضرائب الزراعية في النشاط الإقتصادي للجزائر في العهد العثماني تتحكم وتؤثر إلى حد كبير على الوضع الإجماعي والسياسي فهي المحرك الأساسي للجهاز الإداري والمالي والعامل المؤثر في القوانين والتنظيمات المعمول بها في الأرياف والمتحكم الرئيسي في الإنتاج الفلاحي والحيواني²، فالآفات الطبيعية مثل الجفاف والجراد والفيضانات وكذلك انتشار الأمراض والأوبئة والمستنقعات واتباع الطرق البدائية في خدمة الأرض أدى إلى تقهقر ديموغرافي عندما أفقرت الأرياف من السكان وقل الإنتاج وتضاءلت كميات الضرائب فإضطرت السلطة إلى الإعتماد أكثر فأكثر على شتى الحملات لجميع الجبايات دون مراعاة القدرات والإمكانات الحقيقية للفلاحين، وهذا ما زاد الزراعة إنكماشاً وحياة الفلاحين شقاءً ودفع بالكثير من القبائل إلى معاداة الدولة وإعلان العصيان.³

إهمال الزراعة وتضرر السكان من قلة القوات، مما أدى إلى المجاعة وذكر عبد الرحمن الجيلالي أن الجزائر ما كانت تنتهي وتستريح من ويلات الحرب المحزنة حتى فاجأها الجذب والقحط بكامل البلاد، ومن هنا نجد أن ثورة ابن الأحرش قد أنهكت بايلك الشرق وسكانه، حيث زعزعت أمن البلاد من جهة ووحدت صفوف السكان المتدمرين من السياسة الحاكمة من جهة أخرى، فكانت منفذاً للتعبير عن سخطهم على الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية التي كانت تسود البلاد من جراء الحكم العثماني الفاسد خاصة سياسة الضرائب المجحفة⁴، كما يرى

¹ محمد بن يوسف الزياتي، المصدر السابق، ص ص، 271، 272

² ناصر الدين سعيدوني، الضرائب الزراعية في الجزائر في العهد العثماني، "مجلة الدراسات التاريخية" العددان 43 و44، معهد التاريخ جامعة الجزائر، 1992م، ص، 217.

³ المرجع نفسه، ص، 220.

⁴ حنيفة الهلالي، الثورات الشعبية في الجزائر أواخر العهد العثماني كرد فعل على سياسة التهميش، "مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية"، ع20، قسنطينة، 2006م، ص، 200.

المؤرخ والباحث ناصر الدين سعيدوني في الثورة التي قادها ابن الأحرش: "... أنها تعتبر بحق ثورة شعبية وانتفاضة فلاحية على المظالم والقهر الذي كانت تعاني منه الأرياف الجزائرية أواخر العهد العثماني وذلك جراء السياسة المالية الثقيلة للبايليك والتصرفات الجائرة لبعض الحكام وقد عبرت بعمق عن مدى التعاسة والبؤس الذي عرفه جموع الفلاحين، وعن مدى تمسك سكان الأرياف بالمبادئ البسيطة للإسلام الصوفي المتميز بالتقشف والزهد والذي تدعوا إليه الطريقة الدرقاوية بصفة خاصة.¹

ومنه يمكن القول أن ثورة ابن الأحرش بالرغم من أنها فشلت في تحقيق هدفها وهو القضاء على الحكم العثماني، إلا أنها صورة صادقة على إجتماع كلمة الرعية، كما ساهمت على إضعافه وشجعت سكان الأرياف بإمكانية الثورة ضد سلطة البايليك والإمتناع عن دفع الضرائب، لذا نجد أن الثورات ضد الحكم العثماني لم تتوقف وإستمرارها في مختلف أنحاء الجزائر.²

ثانيا: ثورة ابن الشريف الدرقاوي: (1805-1816م)

1. التعريف بابن الشريف الدرقاوي

هو عبد القادر بن الشريف الدرقاوي الفلتي من أولاد بليل الكساني، يعود أصله إلى قبيلة كسانة البربرية³، درس بزواوية القيطنة لمحي الدين والد الأمير عبد القادر⁴، ثم رحل إلى المغرب الأقصى فأخذ من علماء فاس ولقي الشيخ العربي الدرقاوي وسلك طريقته، وقد بدأ ابن الشريف نشاطه بتأسيس معهدا أو زاوية بقرية أولاد بليل بنواحي فرنده لتفقيه الناس وتعليم الصبية⁵،

¹ ناصر الدين سعيدوني، وراقات جزائرية، المرجع السابق، ص، 294.

² جميلة معاشي، الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري القرن (16-19م)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2015م، ص، 356.

³ مختار بونقاب، انتفاضة درقاوة في بايلك الغرب الجزائري (1802-1816م)، "مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ"، ع3، المركز الجامعي لمعسكر، قسم التاريخ، 2008م، ص، 135.

⁴ مسلم بن عبد القادر، أنيس الغرب والمسافر، تح وتوق، رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974م، ص، 49.

⁵ أرزقي شويتام، نهاية الحكم التركي في الجزائر، المرجع السابق، ص، 100.

وقد قال الزهار في هذا الصدد: " ظهر ابن الشريف وكاتب العرب في أمر القيام على الترك، وإدعى أنه صاحب الوقت وإتبعه العرب وسارت إليه القبائل وظهرت له الكرامات".¹

2. أسباب الثورة:

تعد الثورة الدرقاوية بالغرب الجزائري من أعنف الثورات الشعبية التي شهدتها الجزائر في الفترة العثمانية خلال القرن 19م حيث تعتبر أكبر إنتفاضة التي تزعمها عبد القادر بن الشريك الدرقاوي حيث تضافرت عدة عوامل في إشعال فتيل هذه الثورة لعدة أسباب أهمها:

إنفراد العثمانيين بالحكم دون إشراك الأهالي وتهميشهم الأمر الذي أدى إلى عيش الأتراك في عزلة شبه تامة عن الأهالي وعدم الاكتراث لمطالبهم أو لظروفهم القاسية.

إقصاء الأهالي من الإنخراط في الجيش، حيث كانت عملية التجنيد تتم في الأناضول أي تكون جيش غريب عن الأهالي الجزائريين وكان الجنود يمثلون ميلشيا مسلحة لا مبدأ ولا دين خاصة بعد زوال نظام الدفشرما.²

ضعف بايات وهران إذ تولى منصب الباي أشخاص بلا مروءة ولا كفاءة وفي هذا الصدد يقول حمدان خوجة في كتابه المرأة: " وهكذا عين المسمى مصطفى باي على وهران وللحصول على ذلك المنصب قد وعد بتقديم مبالغ ضخمة من المال ومميزته الوحيدة تتمثل في نهب الشعب وعلى أثر هذه الأوضاع السيئة غضب الشعب وثار، وكان على رأس هذه الثورة الشريف الدرقاوي.³

تلقي الشريف الدرقاوي الدعم من المغرب الأقصى، فقد قبل أن الشريف عندما كان يزور شيخه بالمغرب الأقصى لأخذ العلم: قال له ياسيدي إن بوطننا قوم يقال لهم الترك لا شيء لهم من دعائم الإسلام ويظلمون الناس ولا يعبئون بالعلماء والأولياء نسأل منك أن يكون هلاكهم على يدي لتستريح منهم العباد وتظهر منهم البلاد، فقال له شيخه "العربي الدرقاوي"

¹ أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص، 84.

² منال حميطوش، منال بلعباس، المرجع السابق، ص، 76.

³ حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص، 130.

عليك بجهادهم وقتالهم، وأن الله ينصرك عليهم ومنذ ذلك الحين تكونت لدى ابن الشريف الدرقاوي روح الثورة ضد الأتراك بالجزائر.¹

التميز العنصري بين الأتراك والأهالي الذي يبدو واضحا حيث كان العثمانيين يعاقبون سرا في دار الأغا الإنكشارية حتى لا تهان كرامتهم أما بقية السكان فكانت الأحكام قاسية ومجحفة بالنسبة إليهم وعند إدانتهم والحكم عليهم بالإعدام، حيث يتم إعدامهم علانية ليكونوا عبرة لغيرهم وكانت أحكام القضاة أو الداي أو نوابهم في الأرياف أحكام لا رجعة فيها.² إضطهاد الحكم العثماني للشعب وإرهاقه بالضرائب أدى إلى سخطه عليه وبدأ يبحث عن قوة جديدة تحميه ويلتف حولها، فوجد الطرق الصوفية التي لا يقتصر مجال نشاطها على نطاق القبيلة الواحدة بل يتبع مجال نشاطها لشملة عشرات القبائل والعشائر فتحوّلت الطرق الصوفية من وسطاء خير إلى مدافعين عن السكان ثم إلى متزعمين للثورة.³

أما سحنون الراشدي يذكر أن أسباب الثورة كانت بسبب مقتل بعض فقراء درقاوة من طرف الباي مصطفى، ووجه في طلب شيخهم عبد القادر بن الشيخ خليفة الشيخ الأكبر العربي الدرقاوي بالمغرب، فغادر عبد القادر الدرقاوي بن الشريف وطنه، ونزل بوطن الأحرار واجتمع عليه فقراء درقاوة وإمتعضوا لمن قتل منهم، ونفي شيخهم ابن الشريف عن زاويته ووطنه لذلك تدمرت عشائرتهم وقاموا لمحاربة الأتراك.⁴

وقد قال أحمد الشريف الزهار: " ظهر ابن الشريف وكاتب العرب في أمر القيام على الترك وإدعى أنه صاحب الوقت وإتبعه العرب وسارت إليه القبائل وظهرت له الكرامات"، أي أن الشريف الدرقاوي تمكن من كسب بعض الأنصار من الغرب الجزائري.⁵

¹ محمد بن يوسف الزباني، المصدر السابق، ص، 272.

² عمار بوحوش، المرجع السابق، ص، 72.

³ مليكة حاج حفصي، نجاه غربي، الثورات المحلية أثناء التواجد العثماني في الجزائر (ثورة ابن الشريف الدرقاوي) 1805-1816م، أنموذجا، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ، تخصص تاريخ الجزائر الحديث، كلية العلوم

الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2019-2020م، ص، 40.

⁴ أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص، 45.

⁵ أحمد بن الشريف الزهار، المصدر السابق، ص، 84.

السياسة الضريبية حيث أرقق الحكام العثمانيين السكان بالضرائب فقدموا بشكواهم للدقاوي في هذا الصدد يقول عبد الرحمن الجليلي " صاروا يشكون إليه مما يصيبهم من إرهاب بسبب ما يلزمهم به الحكام الأتراك من باهظ المغرم وجور الضرائب وما يلحقهم بسبب ذلك من إهانة..."¹ ويقول أيضا الأغا المزاري، " ويشتون إليه ضرر المخزن وما فيه من أداء المغرم فكان يعدهم بالفرج".²

رغبة ابن الشريف الدقاوي بالثورة ويظهر ذلك من خلال قوله: " عندما حقق أول إنتصار له على قوات الباي وهو يخاطب الأهالي إذ قال لهم قد نزعنا ظلم الترك والذل والسكينة والمغارم والمكوس، فالواجب عليكم مبايعتنا".³

السياسة العثمانية في الجزائر جعلت من الأتراك طبقة حاكمة لها كل الحقوق السياسية والإمتيازات الإقتصادية، في حين جعلت من السكان المحليين طبقة محكومة عليها تقديم الضرائب والقيام بالواجبات المفروضة عليها وقد ترتب عن ذلك فقر السكان وبؤسهم، فالفقر والشعور بالإحباط والضعف هو ما أدى إلى محاولة تغير الوضع عن طريق الإنتفاضة، حيث أن نظام الحكم العثماني بالجزائر في أواخر عهده تحول إلى جهاز لجمع الضرائب وكثيرا ما كانت تجهز الحملات العسكرية لهذا الغرض وذلك لإرغام السكان على دفع ما فرض عليهم وهو ما يراه المؤرخ ناصر الدين سعيدوني والبوعبدلي بأنه أمر غير عادل لأن القائمون على ذلك النظام لم يراعوا طبيعة الإنتاج ولا وضعية الفلاحين وحالتهم فهم لا يأخذون بعين الإعتبار إلا نوعية الملكية ومتطلبات الخزينة وحاجة الموظفين وهذا ما زاد في شقاء وبؤس الفلاحين.⁴

كانت هذه الثورة نتيجة لتسرب الإنحلال والضعف في الحكومة المركزية التي صارت ألعوبة لخليط الجيش المرتزق المتغلب عليه الليفي الأجنبي فكان هذا الجيش يثور ويتمرد المرة بعد المرة حسب الأهواء والمطامع ويظهر ذلك بصفة جلية التمرد على الحاكم مصطفى

¹ عبد الرحمن بن محمد الجليلي، المرجع السابق، ص، 288.

² الأغا بن عودة المزاري، المصدر السابق، ص، 303.

³ محمد بن يوسف الزياني، المصدر السابق، ص، 274.

⁴ مختار بونقاب، المرجع السابق، ص، 137.

باشا الذي تأمر عليه المتمرّدون وقتلوه ثم نصبوا مكانه أحمد خوخة سنة 1805م، كما وقع عزل كثير من البايات ثم إجراءات إستثنائية ضد القناصل الأوروبيين، فغصبت أموالهم وأهين الكثير منهم¹، كما تمكن من السيطرة على معسكر وكل من مليانة شرقا إلى وجدة غربا، كما قرر مهاجمة وهران وفرض حصار دام 8 أشهر ولما وصل الخبر إلى الداى محمد بن عثمان المعروف بالمقلش جمع جيوشه واتجه نحو الدرقاوي فالتقى الفريقان بمنطقة فرطاسة في 4 جوان 1805م واشتد القتال وانتصر الدرقاوي على الباى ثم قام الدرقاوي بمهاجمة الأتراك في وهران في 06 جوان مناديا كل القبائل الوقوف معه وجمع العديد من المساندين المطالبين للتخلص من الضرائب المفروضة عليهم، وانتصر عليهم في العديد من المعارك وكانت نهاية الشريف في مدينة معسكر بعد أن أرسل الداى بحرية تصل لوهران ومحاصرته من طرف قبائل المخزن.²

3. نتائج الثورة وتأثيرها على الوضع الإقتصادي والإجتماعي:

- نتج عن هذه الثورة وانتشار حركة التمرد واسعة شملت مناطق الجزائر مثل الثورة التيجانية التي قامت في القرب الجزائري ضد الحكم العثماني.
- أدت ثورة الدرقاوي إلى إتساع فجوة الخلاف بين الأتراك الحاكمين وبين السكان وهذا يعود للقمع المتبع من طرف العثمانيين إتجاه القبائل.³
- عدم تمكن الشريف الدرقاوي من ضم سكان وهران وقبائل المخزن إلى حركته فقد تحالفت هذه الفئة مع جيش الباى للدفاع عن مدينة وهران، كما أنها شاركت في المعارك التي خاضها البايات ضد الثائرين، كما أن شخصية ابن الشريف لم تكن محبوبة لدى الناس.⁴

¹ محمد بن يوسف الزياني المصدر السابق، ص ص 15-16.

² سعاد عقاد، المرجع السابق، ص، 140.

³ المرجع نفسه، ص، 140

⁴ أرزقي شويتام، نهاية الحكم العثماني...، المرجع السابق، ص، 106.

- إضعاف نفوذ البايلك وإقتناع السكان بإمكانية الثورة على السلطة بحيث ساهمت ثورة ابن الشريف في تراجع نفوذ البايلك وزيادة الإنعزال عن المدن.¹
- أدت الثورة إلى زيادة الخلاف بين الأتراك الحاكمين وبين الرعية المحكومين نتيجة لسياسة القمع التي إتبعها الأتراك إتجاه القبائل المساندة المتعاطفة مع الثوار كما أدت إلى توتر العلاقات بين الأتراك ورجال الزاوية والطرق الصوفية فراقبت أعمالهم وإتبعت حركاتهم مما أثر سلبا حتى على الطرق الموالية لهم كما أنها أفسحت المجال للسلطان المغربي "مولاي عبد الرحمن" لمهاجمة فجيح عام 1805م وقورارة وتوات عام 1808م على عهد باي المقلش.²
- سياسة القمع والعنف التي إتبعها الحكام الأتراك ضد الثوار والقبائل المتعاونة معهم وقلة العتاد وبدليل عجز ابن الشريف عن إقتحام أسوار المدينة وهران رغم محاصرته لها.
- كثرة الأعمال التخريبية التي رافقت الثورة مما أدى إلى وقوف العديد من القبائل ضدهم.³
- خسائر بشرية في صفوف ابن الشريف حيث يقول الزهار في هذا الصدد: " ومات من العرب عدد لا يحصى وكانت تجتمع رؤوس بني آدم مثل الجبال".⁴
- خسائر في الجيش التركي في الأموال والأنفس ومن جملتهم كاتب الباي وهما: العلامة السيد الحاج أحمد ابن هطال التلمساني الراوي والعلامة الأديب أبو عبد الله السيد محمد الغزلاوي إلى غير ذلك من الأعيان.⁵
- كما كانت لثورة ابن الشريف الدرقاوي عدة نتائج فقد أثر نشاطها الحربي على القطاع الإقتصادي إذ توقف النشاط الزراعي طول فترة الحرب مما أدى إلى قلة الحبوب وقد ترتب عن هذا الوضع إرتفاع أسعار الحبوب.⁶

¹ ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية...، المرجع السابق، ص، 291.

² مختار بونقاب، المرجع السابق، ص، 141.

³ مختار بونقاب، المرجع السابق، ص، 141.

⁴ أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص، 87.

⁵ الأغا بن عودة المزاري، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، تح، يحي بوعزيز، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، الجزائر، 1990م، ص، 304.

⁶ أرزقي شويتام، نهاية الحكم العثماني، المرجع السابق، ص، 106.

- حدوث اضطرابات في الأوضاع الاقتصادية فأهملت الفلاحة وارتفعت أسعار الحبوب بعد توقف النشاط الزراعي حيث يقول الزهار "... وقع العلماء في الحبوب في المدن وغيرها حتى وصل القمح بالكيل الجزائري إلى خمسة دورو للصاع الواحد وصاروا يأتون بالقمح إلى الجزائر في البحر.¹

- إغلاق الأسواق خوفا من قطاع الطرق وارتفاع الأسعار وغلاء المعيشة وتضييق الخناق على القبائل من طرف الإدارة العثمانية أدى إلى خسائر اقتصادية.

- خسائر اقتصادية كبيرة حدثت جراء النهب والسلب التي قام بها الدرقاويين ورجال المحلة.

- حدوث مجاعات من كثرة الأموال والفتن وظاهرة الجفاف التي استمرت لسنوات بسبب ارتفاع الأسعار.²

ثالثا: الثورة التيجانية

1. التعريف بشخصية محمد التيجاني:

إسمه الكامل هو محمد بن أحمد ابن المختر التيجاني المعروف بمحمد الكبير التيجاني أو التجيني كما ورد في بعض المصادر وهو قرية عين ماضي قرب الأغواط وقيل أن أجداده من الأشراف ينتمي نسبهم إلى حسن بن علي ابن فاطمة بنت الرسول صلى الله عليه وسلم وكان والده سيدي أحمد التيجاني رجلا صالحا، زاهدا، عابدا، صاحب طريقة.³

تميزت الفترة الأخيرة من الحكم العثماني في الناحية الغربية بحركة تمرد قادها التيجانيون، كان الأتراك يريدون التخلص من التيجانيين في عين ماضي منذ فترة الباي محمد الكبير حيث يقول الزهار: " كان ملوك الترك يخافون منهم أن يثوروا عليهم لكثرة أتباعهم من العرب"، وكان للأتراك أن يخافوا خاصة بعد أن عاشوا اضطرابات خطيرة التي أحدثتها الطريقة الدرقاوية ببابليك الغرب.⁴

¹ أحمد الشريق الزهار، المصدر السابق، ص، 87.

² مليكة حاج حفصي، نجاه غربي، المرجع السابق، ص، 62.

³ أرزقي شويتام، نهاية الحكم العثماني في الجزائر، المرجع السابق، ص، 107.

⁴ صالح عباد، المرجع السابق، ص، 230.

2. أسباب إندلاعها:

إندلعت هذه الثورة بقيادة شيخ الطريقة التيجانية أحمد بن سالم التيجاني سنة 1826م نتيجة تضررها من مظالم المخزن والجبايات الثقيلة المفروضة حيث تخالف التيجاني مع قبائل الحشم في معسكر ورجال عين ماض، حيث كون جيشا بلغ 600 رجل بإتجاه معسكر سنة 1827م وقاموا بمواجهتهم وإشتد القتال والإستلاء عليهم حيث قام الداى بشراء القبائل التي تدعم التيجاني فعرض عليهم مبلغ 100000 أي ما يعادل 0.93 فرنك للتخلي على التيجاني ولم يتبقى من رجاله سوى 300 من الأعراب وقتلوا جميعا وقتل معهم التيجاني وقاموا بقطع رأسه ورجله ورؤوس أتباعه وبعث بها الباى أمامه للمعسكر، ورجع الباى منتصرا إلى وهران في عزه وكرمه وبعث برسالة لقائد مليانة يخبره بنصره وأنه تخلص من الظالم ابن التيجاني وأحزابه وقطعنا رؤوسهم وسلبنا كل ما يملكون من خيول وإبل والحمد لله على هذا النصر فقد خلصت الناس من ظلمه وفساده.¹

3. نتائج الثورة:

- بعد موت محمد التيجاني بعث رأسه وسيفه ورؤوس خليفته وبعض جنده إلى الداى حسين مبشرا إياه بزوال هذا الشيخ، كما أمر الداى حسين بتعليق رأس محمد التيجاني فوق عمود وصلبه في الباب الجديد بالعاصمة في حين أرسل سيف محمد التيجاني إلى السلطان محمود الثاني يبشرونه بالقضاء على الثورة التيجانية.
- وهذا يبين لنا الخطورة التي كان يشكلها التيجانيون في وجه السلطة حيث وصل صدى التيجانية حتى مقر الخلافة، إن الإنتفاضة التيجانية ماهي إلا صرخة كبقية الصرخات التي كان من الأسباب التي أنهكت قوة السلطة المركزية، فقد كان الباى حسن ومن هو على شاكلته ينهب الأموال ويقتل رجالات العلم والزوايا.²

¹ الأغا بن عودة المزاري، المصدر السابق، ص، 360.

² سمية العيد، المرجع السابق، ص، 60.

الخاتمة

الخاتمة:

من خلال دراستي لموضوع الكوارث الطبيعية والأوبئة في الجزائر خلال العهد العثماني في الفترة الممتدة ما بين (1518-1830م) دراسة تاريخية حاولت من خلالها التعرف على تاريخ الأوبئة وتزامن حدوثها مع التقلبات المناخية التي نجم عنها الزلازل والفيضانات والجفاف الذي بسببه نتج عنها ظهور المجاعة ومدى تأثيرها على الجانب الاجتماعي والاقتصادي ومن خلال عملي الدؤوب يمكن تسليط الضوء على أهم وأبرز النتائج وهي كالآتي:

- أن الجزائر خلال العهد العثماني تعرضت للعديد من الكوارث الطبيعية من بينها الزلازل التي أدت إلى هلاك أعداد هائلة من السكان والتي نتج عنها اشتداد الضائقة الاقتصادية بفعل غلاء الأسعار وشح الأقوات واتلاف المزروعات مما أثرت تأثيرا سيئا على السير الاقتصادي والتي كانت تتبع أحيانا سلسلة من الفوضى وانتشار اللصوص، كما تسببت في خراب المدن وهلاك الناس وهجرة السكان وانقطاع الماء عن المدن نتيجة تهدم المجاري ومنابع المياه.
- ومن بين أخطر الولايات تضررا، القليعة، وهران، البليدة، الجزائر.
- فقد ترتب عنه الخراب والدمار وتوفي به خلق كبير.
- كانت الزلازل سببا في ظهور المجاعات فتسببت في خسائر ودمار كبير جراء تعطل الأعمال الفلاحية وهجرة السكان وتحول الفلاحين وهجرتهم من الحقول فقد كان تأثيرا كبيرا على المواسم الفلاحية.
- كما زرعت هذه الزلازل الرعب فأصبح السكان تحت الخيام وحطمت سواقي المدن فزاد بالسكان العطش وهلاك الكثير منهم، كما كانت لها آثار نفسية خطيرة لدى الأهالي خاصة الأطفال وانعدام الرعاية الصحية والنفسية.
- حدوث الفيضانات التي تعتبر هي الأخرى آفة من الآفات الطبيعية التي أضرت بالجزائر خلال العهد العثماني والتي أثرت في تلف العديد من المنشآت والمواشي وغيرها...
- موجات القحط والجفاف المتكررة التي أدت إلى زيادة مصاعب الجزائر والتي نتج عنها موت وهلاك العديد من الناس وانتشار الفقر والبؤس وقلة المؤمن مما أدى إلى انتشار

المجاعة المهلكة بسبب جفاف الأراضي وقلة الأمطار فقلت المحاصيل الزراعية وشح المردود فترتب عنها ارتفاع الأسعار وانتشار الأمراض.

- كما أن ظهور المجاعة بالجزائر خلال العهد العثماني من نقص في المناعة وسوء التغذية أدى إلى التراجع لديموغرافي وموت الكثير من السكان مما أدى إلى انخفاض عدد السكان بسبب الجوع والمرض وانتشار الفقر والتشرد حيث اضطر الكثير من الناس إلى النزوح حول المدن والالتجاء إلى الزوايا لطلب المساعدة، ولم تكن المجاعة أزمة غذائية فقط بل كانت أزمة شاملة مست الحياة الاقتصادية والاجتماعية مما أدى إلى الغلاء والاحتكار للحبوب والمنتجات وبيعها بأسعار مرتفعة.

أما بالنسبة للجانب الصحي:

- أن الجزائر كانت عرضة للأوبئة التي اجتاحتها خلال العهد العثماني نتيجة اتصالها المستمر بالخارج وانفتاحها على المبادلات التجارية مما انعكس سلبا على الوضع الصحي المعيشي، وكان على رأس هذه الأوبئة وباء الطاعون الذي كان في أغلب حدوثه من الموانئ البحرية نتيجة اتصال الجزائر بالتجار والسفن القادمة من المشرق وأوروبا.

- كما انتشر وباء الطاعون انتشارا سريعا في المدن الكبرى: الجزائر، وهران، قسنطينة، ثم وصل إلى الأرياف كانت عواقبه وخيمة حيث نتج عنه موت الآلاف من الأشخاص في وقت قصير وتراجع النشاط الاقتصادي فتعطلت الزراعة والتجارة بسبب موت الكثير من العمال والحرفيين، كما أصيب الناس باضطرابات نفسية نتيجة الخوف مما أدى إلى الهروب منهم من بيوتهم بسبب العدوى فقد تسبب في فوضى كبيرة فكانت فترات وباء الطاعون متعاقبة، فقد تكاثرت وتردت على الجزائر باستمرار خاصة في أواخر العهد العثماني ومما لاحظناه في دراستنا هو نظرة الحكام والسكان للأمراض التي تميزت بالاستسلام للقدر وقبول الألم بالصبر والشجاعة وفقا لاعتقاداتهم الدينية والذين اعتبروا أن الأوبئة والأمراض من غضب وعقاب إلهي لما ارتكبه البشر من معاصي، إضافة إلى وباء الجدري والكوليرا التي تزامنت حدوثهما في الجزائر خلال العهد العثماني.

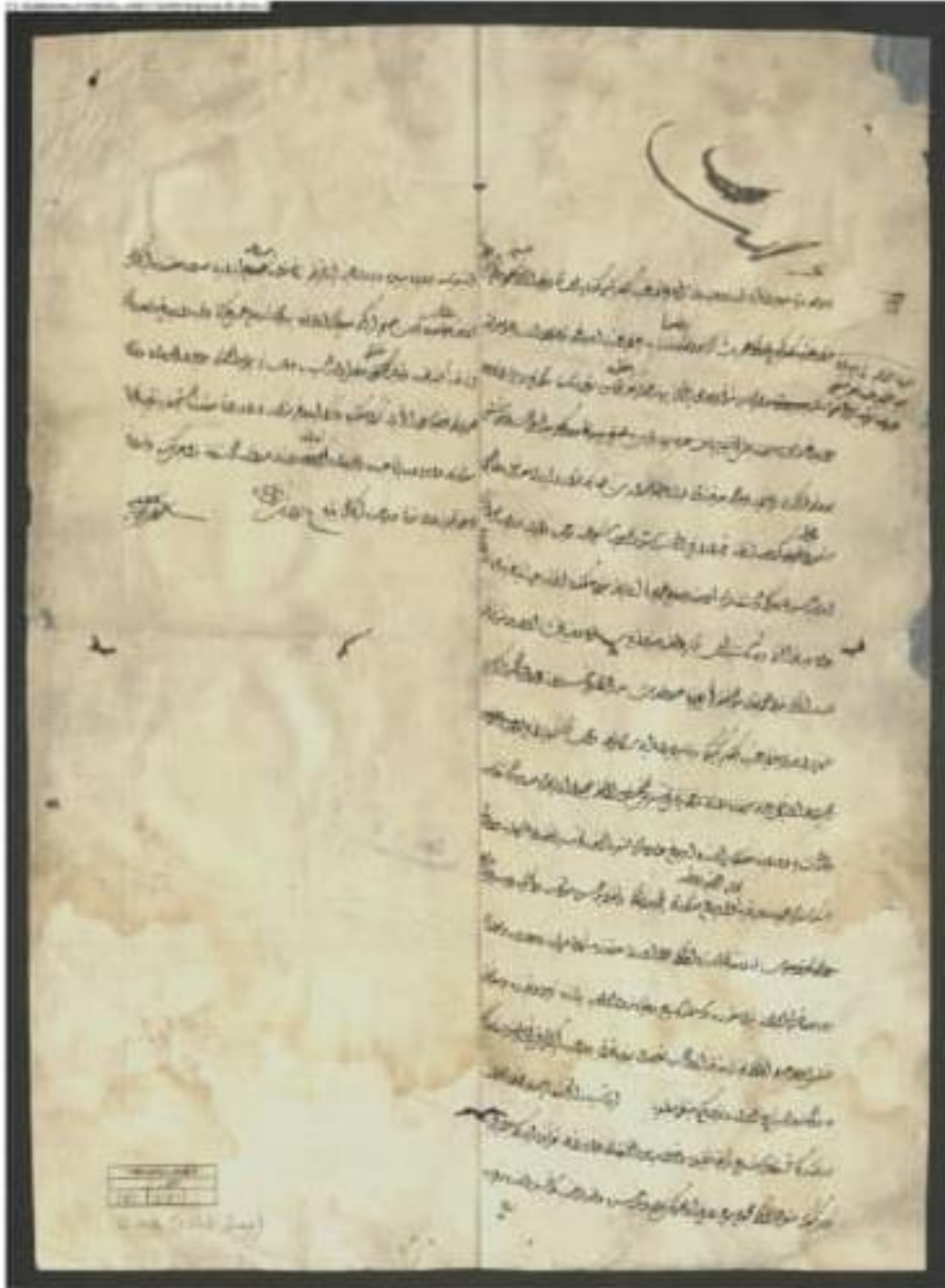
- فقد أدت هذه الأوبئة إلى نقص في اليد العاملة وهروب الناس من أماكن انتشار الأوبئة اليت نتجت عنها المجاعة وارتفاع الأسعار حيث تزامن هذا الوباء مع سنوات الجفاف والحروب.
- تعدد الممارسات في الجزائر خلال الفترة العثمانية ومن أبرزها العلاج التقليدي الذي طغت عليها الصفة الشعبية بالأساس وقد تعددت ممارسته ومظاهره من بينها التداوي بالأعشاب والتداوي بالقرآن والسنة وزيارة الحمامات المعدنية وزيارة الأضرحة كما لعب فيه المرابط دور الطبيب والتبرك بالأولياء الصالحين ولجوء الحكام إلى الحجر الصحي على الكثير من السفن الآتية إلى الجزائر التي كانت تنقل الحجاج والتجارة حيث لم يستثني هذا النظام على فئة معينة بل شمل كل الأطياف والشرائح المختلفة وأيضا جهود الشعب الجزائري المبذولة آنذاك فأصبحوا يتعاونوا مع بعضهم البعض للخروج من الأزمة بتوفير القمح من ملكهم الخاص للناس الضعفاء.
- إن عدم اهتمام السلطة بالشعب وبالعنصر المحلي وتهميشهم في شتى المجالات سواء كان في الجانب الاجتماعي أو السياسي أو الاقتصادي وهذا ما ولد انفجارا لدى الرعية حيث كان ردهم عنيف اتجاه السلطة العثمانية ونتج عن ذلك ظهور العديد من الثورات الشعبية في مطلع القرن 19م كثورة ابن الأحرش والثورة الدرقاوية والثورة التيجانية كما كانت لهاته الثورات آثارا قوية على السلطة واضعافها فزعزعت أمنها بشكل سلبي إلى جانب الأوبئة والكوارث التي تعتبر سببا من الأسباب.
- حيث تعتبر الحروب والفتن الداخلية من أهم الأسباب البشرية التي نتج عنها حدوث المجاعات والتي أثرت تأثيرا كبيرا فأدت إلى الغلاء في الأسعار وحالة البؤس والفقر التي عاشها الفرد الجزائري خلال الفترة العثمانية.
- كما نجد أن الوضع الديموغرافي في الجزائر هو الآخر لم يكن مستقرا وثابت فقد تضاربت بالمصادر والمراجع حول الأرقام التي قدمتها عن الخسائر البشرية المترتبة عن الكوارث الطبيعية والأوبئة التي عانت منها الجزائر أثناء هاته الفترة فقد تعرضت لأخطر الكوارث وأعظمها والمتمثلة في المجاعة ووباء الطاعون إلى جانب الزلازل والفيضانات والجفاف.

- كما تعرضت البلاد لظاهرة الجراد الذي كان يشكل تهديدا كبيرا على الزراعة والمحاصيل التي تدمرت بسبب أسراب الجراد فانتشرت المجاعة وارتفعت الأسعار وانتشار الجوع والفقر فأضعف الاقتصاد الزراعي مما زادت من حدة معاناة السكان فكان اجتماع هذه الكوارث يفاقم الوضع بشكل خطير.

-

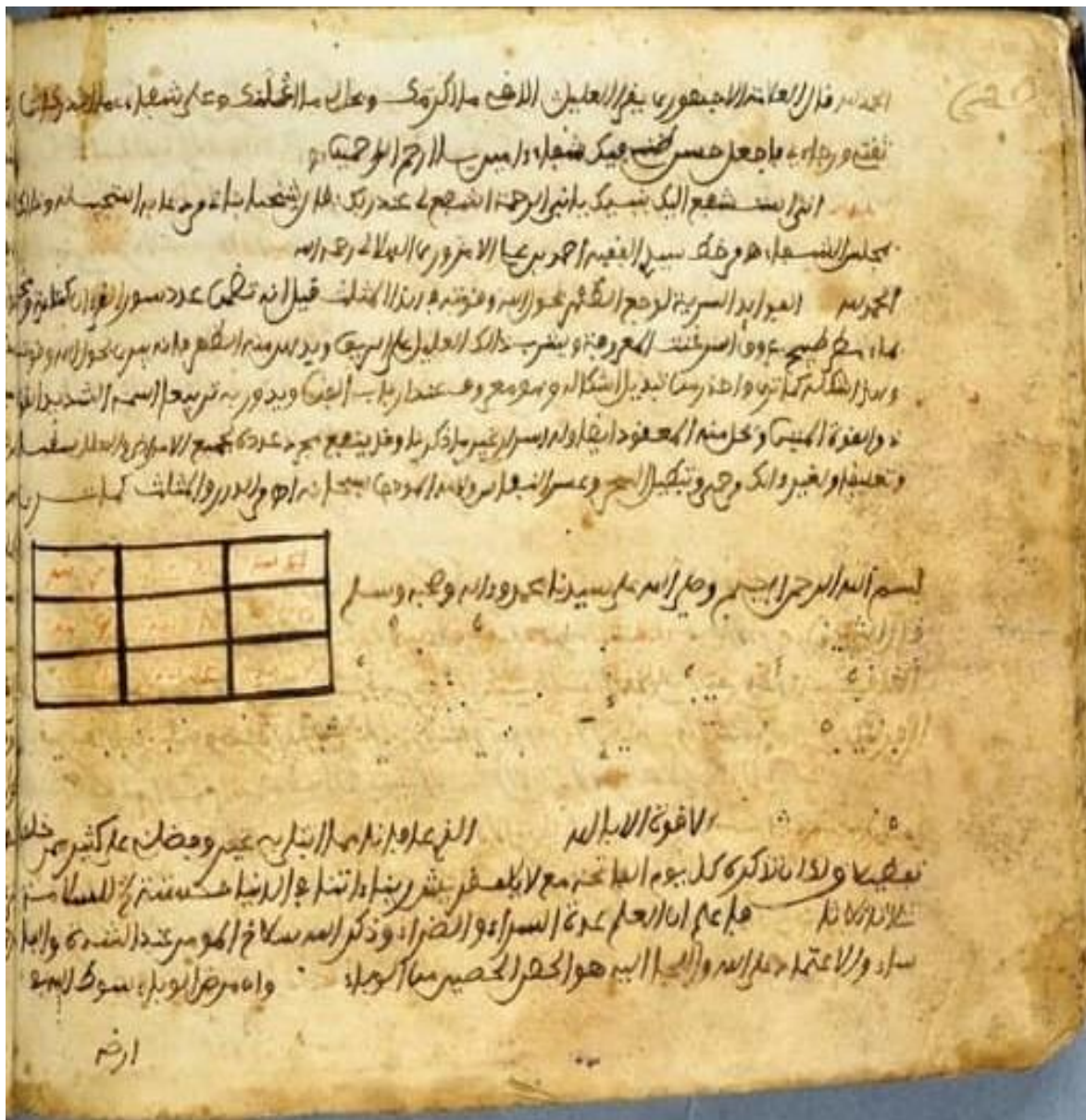
الملاحق

الملحق رقم 01: وثيقة تتحدث عن وفاة الداوي علي باشا بوباء الطاعون سنة 1817م¹



¹خير الدين سعيدي، المرجع السابق، ص 325.

الملحق رقم 02: مخطوط يوضح علاج وباء الطاعون من خلال السحر والشعوذة¹



¹ فهرس المخطوطات العربية والبربرية من مجموعة رو الفرنسية، المرجع السابق، منقول من موقع،

الملحق رقم 03: الصفحتين الأولى والأخيرة من مخطوط كشف الرموز في شرح العقاقير والأعشاب، للطبيب عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري¹



¹ علامة صليحة، تاريخ الأوبئة، المرجع السابق، ص 613.

الملاحق

الملحق رقم 04: جدول يوضح أعداد سكان مدينة الجزائر في مختلف فترات الحكم العثماني دون حساب نسبة اليهود.¹

مصدر الإحصاء	عدد سكان الجزائر بالسنة	السنة	فترة الحكم العثماني	الترتيب رقم
دي غرامون	100,000 ن			1
هايدو	60,000 ن	1580	مرحلة البايكليات	2
بيار دان	100,000 ن	1634	مرحلة الباشوات	3
ماسون	160,000 ن	1651		4
لوحى دو تاسي	100,000 ن	1725	مرحلة الأغوات	5
تولوت	150,000 ن	1731		6
ماسون	50,000 ن	1788		7
فونتو دي بارادي	50,000 ن	1789	مرحلة الدايات	8
وليام شالر	30,000 ن	1818		9

¹ عبد الجليل رحموني، المرجع السابق، ص 126.

الملاحق

الملحق رقم 05: جدول زمني يوضح تقدير عدد الوفيات المسجلة خلال فترة انتشار الطاعون من القرن 16م إلى بداية القرن 19م

1. في القرن 16م

عدد الوفيات	الانتشار الجغرافي	الفترة
/	مدينة الجزائر	1542م
/	مدينة وهران	1547م
هلاك ثلاث بشاوات: صالح رايس، يوسف باشا، يحي باشا.	مدينة البليدة	1555-1556م
هلاك 1/3 سكان البلاد	مدينة الجزائر	1572م
وفاة ما بين 200 و 500 ضحية يوميا	مدينة الجزائر	1590-1592م

2. في القرن 17:

/	مدينة قسنطينة	1601-1603م
في عهد خضر باشا مات به حسن باي ومراد باي	جميع أنحاء شمال افريقيا الجزائر (قسنطينة) تونس (في عهد الداوي يوسف) المغرب (في عهد عبد الله)	1620-1622م
توفي ثلاث علماء كبار: بركات بن نعمان - عبد	مدينة قسنطينة	1634م

الملاحق

اللطف المصباح، بركات بن عبد المؤمن. هلاك 10 في المائة من السكان هلاك 1/3 من سكان المدينة هلاك ما بين عشرة وعشرين في المائة من عدد الوفيات / وفاة 25 شخصا	الجزائر، قسنطينة، بسكرة الجزائر الجزائر وهران الجزائر	1648م 1666-1654م 1671م 1678-1675م 1698م
--	---	---

3. في القرن 18 وبداية القرن 19م

عدد الوفيات	الانتشار الجغرافي	الفترة
هلاك 1000 شخص يوميا	الجزائر	1740-1738م
هلاك 1700 شخص شهريا	الجزائر	1752م
وكان العبيد أكثر عرضة للهلاك هلاك 500 نسمة يوميا	الشرق الجزائري	1786م
هلاك 8065 شخصا (224 مسيحيًا)، (6748 مسلمًا)، (1093 يهوديًا)	وهران	1787م
هلاك 15793 شخصا، 13482 مسلمانًا، 1771 يهوديًا، 540 مسيحيًا.	الجزائر وهران، الجزائر، عنابة الجزائر العاصمة	1788م 1794-1793م 1796م

الملاحق

هلاك 300 ضحية من شهر يناير إلى شهر سبتمبر منهم (55 مسلما) وهلاك 25 شخصا في شهر مارس ودام شهرين تقريبا.	الجزائر - وهران	1799م
هلاك 1200 نسمة	الجزائر (دار السلطان)	1804م
هلاك حوالي 30 شخص ووفاة الداي علي خوجة بوباء الطاعون	الجزائر، عنابة، قسنطينة، جيجل، بجاية، الشرق الجزائري	1817-1818م
هلاك 20 ألف ضحية وهلاك 1/3 شخص من عدد السكان	الجزائر، عنابة، الصحراء	1822م

من إعداد الطالبة وفقا لدراسة سابقة عن وباء الطاعون من خلال مصادر ومراجع أجنبية ومحلية.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

أولاً: المصادر

أ. باللغة العربية:

- 1- أبادي المجد الدين فيروز، القاموس المحيط، تح، أنس محمد الشامي، زكرياء جابر أحمد، دار الحديث، مج1، القاهرة، 2008م.
- 2- ابن المفتي حسن بن رجب شاوش، تقييدات ابن المفتي في تاريخ الجزائر وعملائها، ط1، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م.
- 3- ابن خلدون عبد الرحمن، تاريخ ابن خلدون، ج6، دار الفكر للنشر والتوزيع، لبنان، 2001م.
- 4- ابن منظور أبو الفضل جمال الدين بن مكرم، لسان العرب، مج2، دار الصادر، بيروت، لبنان.
- 5- أجيرون شارل روبيير، تاريخ الجزائر المعاصر، تع، محمد علي عامر، ط1، دار النهضة، لبنان، 1989م.
- 6- أوهسنترائيت، ج، رحلة العالم الألماني إلى الجزائر وتونس وطرابلس (1145هـ-1732م)، تر، ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي تونس.
- 7- بن العطار أحمد بن المبارك، تاريخ بلد قسنطينة (1790-1870)، تح، تع، تق، عبد الله حمادي، ط1، دار الفائز، قسنطينة، 2011م.
- 8- بن عبد القادر مسلم، أنيس العرب والمسافر، تح، تق، راجح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974م.
- 9- التلمساني أحمد بن هطال، رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي الجزائري، تح، تق، أمحمد عبد الكريم، ط1، عالم الكتب للنشر والتوزيع، القاهرة، 1969م.

- 10- ديبغوها يدوفراي، تاريخ ملوك الجزائر، تر، أبو لؤي عبد العزيز الأعلى، دار الهدى للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م.
- 11- الراشدي أحمد بن سحنون، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تح، تق، المهدي بوعبدلي، ط1، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م.
- 12- الزهار أحمد الشريف، منكرات أحمد الشريف الزهار، (نقيب أشرف الجزائر)، (1754-1830)، تح، أحمد توفيق المدني، ذخائر العرب العربي، الجزائر، 1974م.
- 13- الزياني محمد بن يوسف، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تح، تق، المهدي بوعبدلي، ط1، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م.
- 14- سبنسر وليام، الجزائر في عهد رياس البحر، تع، تق، عبد القادر زبادية، دار القصبه للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007م.
- 15- السيوطي عبد الرحمان، الرحمة في الطب والحكمة، دار أجياد الكتب العربية للنشر والتوزيع، مصر، 1976م.
- 16- شالر وليام، منكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر (1816-1824م)، تع إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982م.
- 17- شوفالييه كورين، الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر (1510-1541م)، تر، جمال حمادنة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007م.
- 18- عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري، رحلة ابن حمادوش الجزائري المسماة لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال، تح، أبو القاسم سعد الله، عاصمة الثقافة العربية، الجزائر، 2007.
- 19- العسقلاني الحافظ أحمد بن علي بن حجر، بذل الماعون في فضل الطاعون، تح، أحمد عصام عبد القادر، دار العاصمة، الرياض السعودية، 2005م.
- 20- العسقلاني الحافظ أحمد بن علي بن حجر، هدي الساري (مقدمة فتح الباري)، مكتبة السلفية الأولى، جامعة الشريعة، الرياض، السعودية، 2015م.

قائمة المصادر والمراجع

- 21- العنتري محمد صالح، تاريخ قسنطينة، تح، يحي بوعزيز، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م.
- 22- العنتري محمد صالح، مجاعات قسنطينة، تح، تق، رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974م.
- 23- العوامر إبراهيم محمد الساسي، الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، تع، الجيلاني بن إبراهيم العوامر، تالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007م.
- 24- الفاسي حسن بن محمد الوزان، وصف افريقيا، تر، محمد حجي، محمد الأخضر، ج1، ط2، دار الغرب الإسلامي للنشر والتوزيع، لبنان، 1983م.
- 25- كاتكارت جيمس ليندر، مذكرات أسير الداوي كاتكارت (قنصل أمريكا في المغرب)، تر، إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية للنشر والتوزيع، الجزائر 1982م.
- 26- المدني أحمد توفيق، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا (1492-1792م)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د، ت.
- 27- المزابي الأغا بن عودة، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، تح، يحي بوعزيز، ج1، دار الغرب الإسلامي، الجزائر، 1990.
- 28- الميلي مبارك بن محمد الهلالي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث تق وتص، محمد الميلي، ج2، دار الغرب الإسلامي بيروت، د، ت.
- 29- الميلي مبارك بن محمد الهلالي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث ج3، مكتبة النهضة الجزائرية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1964م.
- 30- وولف جون، الجزائر وأوربا (1500-1830م)، تر أبو القاسم سعد الله، دار الرائد للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م.
- 31- وويلد ألسيور، رحلة طريفة في إيالة الجزائر، تح، تق، تع، محمد الجيجلي، ط2، شركة دار الأمة، الجزائر، 2002م.

ب. باللغة الأجنبية:

1. Daniel Panzak, La peste dans l'Empire Ottoman, 1700-1850, (Compte rendu), le Montre Robert, Éditions Peters Leuven, 1985.
5. Dr. chaw, **Traduit par J. Maccarthy**, La régence d'Alger, Paris, chez Martin Éditeur, rue de Savoie, N°11, 1830.
2. Fey, Henri Péon, Histoire d'Oran avant, pendant et après la domination espagnole, Éditeur Adlophe Perrier, Oran, 1858.
3. Grammont, Henri-Delmas, Histoire d'Alger sous la domination turque (1515-1830), E. Leroux, Paris.
4. Haedo (F. de diego), Histoire des rois d'Alger traduite de H.D. de Grammont, Alger 1881.
5. Haedo (F. de diego), Topographie et Histoire générale d'Alger traduit de l'espagnol par M.M. E. Monnerau et A. Berbrugger, Paris à Valladolid en 1870.
6. J.-G. Guyon, Histoire chronologique des épidémies du nord de l'Afrique depuis les plus reculées jusqu'à nos jours, Imprimerie du Gouvernement, Alger, 1877.
6. Jean Marchika, La peste en Afrique Septentrionale. Histoire de la peste en Algérie de 1348 à 1830, Jules Carbouel, Alger, 1927.
7. Jean Michel Venture de Paradis, Alger au XVIII, Siècle, par Bibliothèque Nationale de France, Paris, 1898.
8. Iouquier de Tassy, Histoire du royaume d'Alger l'état présent de son gouvernement, Amsterdam, chez Henri du Sauzet, 1724.
7. Peyssonnel, Dans des fontaines, Voyages dans les régences de Tunis et d'Alger, Paris, 1838.

ثانيا: المراجع باللغة العربية

أ. الكتب

1. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ط1، دار المغرب الإسلامي للنشر والتوزيع، لبنان، 1998م.

قائمة المصادر والمراجع

2. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1998م.
3. أحيدة عميراي، الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر، خلال العهد العثماني (مذكرات تيدنا أنموذجا)، دار الهدى، الجزائر، 2003م.
4. أتر عزيز سامح، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، تر، محمود علي عامر، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 1989م.
5. بزاز محمد الأمين، تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب في القرنين 18 و19م، رسائل وأطروحات رقم 18، الرباط، 1992م.
6. بلوج سليم، الأوبئة والمجاعات الفتاكة في الجزائر خلال الفترة العثمانية 17 و19م، المؤتمر الدولي بعنوان المجاعات والأوبئة في الوطن العربي، ج2، المركز الديمقراطي العربي، برلين، 2021م.
7. بوحوش عمار، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962م، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1997م.
8. بوحوش عمار، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962م، ط1، دار الغرب الإسلامي للنشر والتوزيع، لبنان، 1997م.
9. بوعزيز يحيى، الموجز في تاريخ الجزائر، ج2، ديوان المطبوعات الجامعية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م.
10. الجيلالي عبد الرحمن بن محمد، تاريخ الجزائر العام، ج3، ط7، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994م.
11. حلومي عبد القادر، النباتات الطبية، وزارة الفلاحة والصيد البحري، الجزائر، 1997م.
12. الدليمي خلف حسين علي، الكوارث الطبيعية والحد من آثارها، ط1، دار الصفاء، عمان، 2009م.

قائمة المصادر والمراجع

13. دودو أبو العيد، الجزائر في المؤلفات الرحالتي الألمان (1813-1855م)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1975م.
14. الزبيري محمد العربي، التجارة الخارجية للشرق الجزائري في الفترة ما بين (1792-1830م)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1972م.
15. سعيدوني ناصر الدين، الجزائر في العهد العثماني الشيخ المهدي بوعبدلي، المؤسسة الوطنية للكتاب، وحدة الرغاية، الجزائر، 1984م.
16. سعيدوني ناصر الدين، الحياة الريفية بإقليم مدينة الجزائر (دار السلطان)، أواخر العهد العثماني (1791-1830م)، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012م.
17. سعيدوني ناصر الدين، النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني (1792-1930م)، ط1، دار البصائر، الجزائر، 1981م.
18. سعيدوني ناصر الدين، دراسات تاريخية في الملكية والجبابة (الفترة الحديثة)، دار الغرب الإسلامي للنشر والتوزيع، بيروت، 2001م.
19. سعيدوني ناصر الدين، ورقات جزائرية (دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني)، دار البصائر، الجزائر، 2009م.
20. شويتام أرزقي، المجتمع الجزائري وفعاليته في العهد العثماني (1519-1830م)، ط1، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2006م.
21. شويتام أرزقي، نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهياره (1800-1830م)، ط1، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، الجزائر، 2011م.
22. عباد صالح، الجزائر خلال الحكم التركي، (1514-1830م)، دار الهومة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002م.
23. العلامة صليحة، الوضع الصحي في مقاطعة الجزائر (1830-1930م)، القافلة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2016م.

قائمة المصادر والمراجع

24. علي شعيب محمد المهدي، أم الحواضر في الماضي والحاضر، تاريخ مدينة قسنطينة، الطبعة للبحث والنشر والتوزيع، الجزائر، 1985م.
25. غطاس عائشة، الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها، المكتبة الجزائرية للدراسات التاريخية، الجزائر، 2007م.
26. فارس محمد خير، تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي، ط1، كلية الآداب، جامعة دمشق، 1969م.
27. محسوب محمد صبري، أرباب محمود إبراهيم، الأخطار والكوارث الطبيعية، ط1، دار الفكر العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، 1998م.
28. مروش المنور، دراسات عن الجزائر في العهد العثماني، (العملة، الأسعار، المداخل)، ج1، دار القصب، الجزائر، 2009م.
29. معاشي جميلة، الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري القرن (16-19م)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2015م.
30. معوشي أمال، يهود الجزائر والاحتلال الفرنسي (1830-1870م)، وزارة الثقافة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2014م.
31. نشوان زيد علي عنتر، الجزائر في عهد الدايات (1671-1690م)، النبراس للنشر والتوزيع، صنعاء، 2005م.
32. نور الدين عبد القادر، صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي، مطبعة البحث، قسنطينة 1965م.
33. الهلايلي حنيفي، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط1، دار الهدى للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008م.

ب. المقالات:

1. بن عتو جليل، قوراري زهاد، الأوضاع المعيشية والصحية والديموغرافية في الجزائر العثمانية من خلال المصادر الغربية، مج13، ع1، "مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية"، 2022م.
2. بونقاب مختار، انتفاضة درقاوة في بايليك الغرب الجزائري (1802-1816م)، "مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ"، ع3، المركز الجامعي لمعسكر، قسم التاريخ، 2008م.
3. جعني زينب، ثورة ابن الأحرش في بايليك الشرق (1800-1807م)، "مجلة عصور جديدة"، ع18، الجزائر، أكتوبر، 2015م.
4. حفيان رشيد قراءة في مخطوط، "مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية"، مج33، قسنطينة، الجزائر، 2019م.
5. دحماني توفيق، الأوضاع الصحية والكوارث الطبيعية في الجزائر خلال عشية الاختلال، "المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية"، ع7، الجزائر، 2013م.
6. دغموش كاميليا، بن عمر حمادو، الوضع الصحي والمعيشي للبايليك الغرب الجزائري، "مجلة الحوار المتوسطي"، مج10، ع1، جوان 2019م.
7. زين محمد، نظرة عن الأحوال الصحية بالجزائر العثمانية في أواخر عهد الدايات، "مجلة الواحات للبحوث والدراسات"، قسم التاريخ، جامعة الجيلالي، سيدي بلعباس، 2012م.
8. سعيدوني ناصر الدين، فحص مدينة الجزائر (نوعية الحياة الاقتصادية والاجتماعية عشية الاحتلال)، "مجلة الدراسات التاريخية"، ع1، الجزائر، 1986م.
9. صرهودة يوسف، سياسة المجتمع في مواجهة الأوبئة والمجاعات في إيالة الجزائر خلال القرن 18-19م، "المجلة التاريخية الجزائرية"، مج6، ع1، جامعة عنابة، الجزائر، أبريل، 2022م.

10. عبو إبراهيم، الثورات المحلية في الجزائر خلال العهد العثماني وموقف العلماء منها، " مجلة متون"، مج9، ع4، ديسمبر، 2016م.
11. العلامة صليحة، تاريخ الأوبئة في الجزائر، " مجلة القرطاس"، ع2، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، جانفي، 2015م.
12. عمر اوي جمال الدين، الأوبئة والأمراض في الجزائر وبلاد المغرب، " مجلة الآفاق الفكرية"، مج9، ع2، جامعة قسنطينة، الجزائر، 2020م.
13. غراف هجيرة، السلطة العثمانية وآليات الوقاية من الأوبئة في إيالة الجزائر، الحجر الصحي أنموذجا، " مجلة القرطاس للدراسات الفكرية والحضارية"، مج7، ع2، وهران، 2020م.
14. غطاس عائشة، الوضع الصحي للجزائر خلال العهد العثماني " مجلة الثقافة"، ع76، الجزائر 1983م.
15. فكاير عبد القادر، معاهدة الجزائر مع اسبانيا 1786-1791م، ظروفها وانعكاساتها على العلاقات بين البلدين، "مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية"، ع1، جامعة الجيلالي بونعامة، خميس مليانة.
16. القشاعي فلة موساوي، وباء الطاعون في الجزائر العثمانية دوراته وسلم حدته وطرق انتقاله، " مجلة الدراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية"، مج1، ع1، الجزائر، 2001م.
17. قندوز عبد القادر، الوضع الصحي للسكان في الجزائر في العهد العثماني، " مجلة الخلدونية"، مج12، ع1، جامعة ابن خلدون، جامعة تيارت، الجزائر، 2020م.
18. لزغم فوزية، الأطباء الأوروبيين بالجزائر، خلال العهد العثماني (1519-1830م)، " مجلة الدراسات التاريخية"، العدد 15 و 16، الجزائر، 2012، 2013م.
19. المشهداني حمد مؤيد المحمود، سلوان رشيد رمضان، أوضاع الجزائر خلال الحكم العثماني (1518-1830م)، " مجلة الدراسات التاريخية والحضارية"، مج5، ع16، جامعة تفرت، 2013م.

20. الهلايلي حنفي، الثورات الشعبية في الجزائر أواخر العهد العثماني كرد فعل على سياسة التهميش، "مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية"، ع20، قسنطينة، 2006م.
- ج. الرسائل والأطروحات:
1. بن صحراوي كمال، الدور الدبلوماسي ليهود الجزائر أواخر عهد الدايات، ماجيستر في التاريخ الحديث، معهد العلوم الاجتماعية والإنسانية، قسم التاريخ، جامعة معسكر، 2007-2008م.
 2. بن مزوز خديجة، الكوارث الطبيعية والأزمات الصحية وأثرها على الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في الجزائر العثمانية (1800-1830م)، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث والمعاصر كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، شعبة تاريخ جامعة غرداية، 2015-2016م.
 3. بوحجرة عثمان، الطب والمجتمع في الجزائر خلال العهد العثماني (1519-1830م)، مقاربة اجتماعية، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجيستر في التاريخ الحديث، جامعة أحمد بن بلة، وهران، الجزائر، 2014م.
 4. حفيان رشيد، الكوارث الطبيعية وآثارها في الجزائر خلال العهد العثماني، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة معسكر، 2016م.
 5. حميطوش منال، بلعباس منيرة، الكوارث الطبيعية وانعكاساتها على المجتمع خلال العهد العثماني 1519-1830م، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، قسم التاريخ، جامعة أكلي محند أولحاج، البويرة، 2021-2020م.
 6. رحموني عبد الجليل، اهتمامات المجلة الإفريقية بتاريخ الجزائر العثمانية (1520-1830م)، مذكرة لنيل شهادة الماجيستر في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجيلالي، سيدي بلعباس، 2014-2015م.

7. سعدي خير الدين، المجاعات والأوبئة في الجزائر خلال العهد العثماني (1700-1830م)، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ جامعة 08 ماي 1945م، قالمة 2018-2019م.
8. ظاهر نوال، الأوبئة والمجاعات في الجزائر خلال القرن 19م، (1800-1830م)، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ تخصص تاريخ المغرب العربي الحديث، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية قسم التاريخ، جامعة غرداية 2020-2021م.
9. عتوان حفيظة، ارسان ربيعة، الظاهرة الوبائية في الجزائر خلال عهد الدايات (1671-1830م)، أسبابها وانعكاساتها مذكرة لنيل شهادة الماستر، تخصص تاريخ الجزائر الحديث، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الجبالي، بونعامة خميس مليانة، 2018-2019م.
10. عقاد سعاد، الفلاحون الجزائريون والسلطة العثمانية في الجزائر (1819-1830م)، دار السلطان أنموذجا، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران، 2013-2014م.
11. العيد سمية، الكوارث والأوبئة ودورها في اضعاف الحكم العثماني في الجزائر (1798-1830م)، مذكرة ماستر كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تخصص تاريخ الوطن العربي، قسم العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2018-2019م.
12. غطاس عائشة الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر (1700-1830م)، ج1، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه دولة في التاريخ الحديث، كلية العلوم الإنسانية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2000-2001م.
13. فتيسي نادية، أوضاع الجزائر في العهد محمد بن عثمان باشا إلى غاية عهد حسن باشا، الأوضاع الاقتصادية والسياسية أنموذجا، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، تاريخ عام، جامعة 08 ماي 1945م، قالمة 2018-2019م.

14. القشاعي فلة موساوي، الصحة والسكان في الجزائر أثناء العهد العثماني وأوائل الاحتلال الفرنسي (1518-1830م)، أطروحة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2003-2004م.
15. القشاعي فلة موساوي، النظام الضريبي بالريف القسنطيني أواخر العهد العثماني (1771-1837م)، مذكرة ماجستير في التاريخ، قسم التاريخ جامعة الجزائر، 1989-1990م.
16. كربوع حليلة، حويلي نبيلة، الأوبئة والمجاعات في الجزائر من (1804-1868م)، وآثارها الاجتماعية والاقتصادية مذكرة ماستر، تخصص تاريخ الوطن العربي والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة حمد خيضر، بسكرة 2020-2021م.
17. لعابب كوثر، العلاقات الجزائرية التونسية خلال عهد الدايات (1711-1830م)، ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الوادي، 2013-2014م.
18. مجاهد يمينة، تاريخ الطب في الجزائر في ظل الاستعمار الفرنسي (1830-1962م)، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة أحمد بن بلة، وهران، الجزائر، 2017-2018م.
19. محرز أمين، الجزائر في عهد الأغوات (1659-1671م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2007-2008م.
20. مزدور سمية، المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط (1520-1992م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، جامعة منتوري، قسنطينة 2008-2009م.
21. مسعودي فتيحة، الكوارث الطبيعية في الجزائر خلال القرنين 18 و 19 بين التأثيرات السياسية والاجتماعية، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، تخصص تاريخ المغرب العربي الحديث، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، قسم العلوم الإنسانية، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف، 2023-2024م.

د. المواقع الإلكترونية:

- فهرس المخطوطات العربية والبربرية من مجموعة والفرنسية دار العلوم الإنسانية المتوسطة، المدينة الرقمية للبحر الأبيض المتوسط، سينوميد منقول من موقع: <http://cimwed-mmsh,Univ-aix,fr/IIIF/112737/manifest>.

ثانيا: المراجع باللغة الأجنبية

- Redouane chimoni, auther, " le 1790 oran earthquake, seismic event, intimes of conflict along the Algerian", N6, V89, coast artical Reviwer from westorn and local source materials, 2018.
- G.hanen larbi, G.hanen nour el houda, les plus graudes épidémies de l'histoire cas de l'Algérie entre l'époque ottomane et colonial Revue de recherche Historique, V06, N01, juin, 2022.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

شكر وتقدير

اهداء

أ.....: مقدمة

المدخل التمهيدي

طبوغرافية الجزائر

6..... أولاً: الطبوغرافيا الطبيعية

6..... 1. الموقع الجغرافي للجزائر:

6..... 2. وصف مدينة الجزائر

7..... 3. التضاريس:

12..... ثانياً: الطبوغرافيا البشرية:

12..... 1. أصل السكان

الفصل الأول

الكوارث الطبيعية في الجزائر خلال العهد العثماني

19..... تمهيد:

20..... المبحث الأول: الزلازل:

20..... أولاً: تعريف الزلزال:

20..... ثانياً: مراحل حدوث الزلزال في الجزائر خلال العهد العثماني:

27..... المبحث الثاني: الفيضانات floods :

27..... أولاً: تعريفها

27..... ثانياً: أسباب حدوثها:

29..... المبحث الثالث: الجفاف (Drought)

29..... أولاً: تعريفه

29..... ثانياً: أسبابه

30..... ثالثاً: مراحل الجفاف

32..... المبحث الرابع: المجاعة famine

32..... أولاً: تعريف المجاعة

33..... ثانياً: مراحل ظهور المجاعة

33..... 1. مراحل ظهور المجاعة في الجزائر في منتصف القرن 16م:

2. مراحل ظهور المجاعة في الجزائر خلال القرنين 17 و18م: 33

ثالثا: مراحل ظهور المجاعة في الجزائر في مطلع القرن 19م 36

الفصل الثاني

الأوبئة في الجزائر خلال العهد العثماني

المبحث الأول: الطاعون la peste 40

أولا: تعريف الوباء 40

ثانيا: تعريف الطاعون 40

ثالثا: أنواع الطاعون 41

رابعا: أسباب انتشار الطاعون في الجزائر: 41

خامسا: طرق انتشار الطاعون في الجزائر 42

سادسا: مراحل تفشي وباء الطاعون في الجزائر خلال العهد العثماني 43

المبحث الثاني: الجدري: smallpox 52

أولا: تعريفه 52

ثانيا: ظهور الجدري 52

المبحث الثالث: الكوليرا cholera 54

المبحث الرابع: أبرز طرق العلاج: 55

أولا: الطرق التقليدية 55

ثانيا: الأطباء الجزائريون المحليون 59

ثالثا: التعاون الشعبي لمعالجة الأمراض: 60

رابعا: طرق ووسائل مواجهة الأوبئة 62

الفصل الثالث

انعكاسات الكوارث الطبيعية والأوبئة في الجزائر خلال العهد العثماني (1518-1830م)

تمهيد: 68

المبحث الأول: على الجانب الاجتماعي 69

أولا: تراجع النمو الديموغرافي: 69

ثانيا: أسباب الانهيار الديموغرافي: 75

ثالثا: هجرة السكان 79

المبحث الثاني: على الجانب الاقتصادي 81

أولا: القطاع التجاري 81

ثانيا: القطاع الزراعي 83

84	1. العوامل المؤثرة في الزراعة:
92	ثالثا: القطاع الصناعي والحرفي
95	المبحث الثالث: على الجانب السياسي
95	أولا: ثورة ابن الأحرش: (1804م)
95	1. التعريف بابن الأحرش:
96	2. مجريات الثورة:
100	3. نتائج الثورة وتأثيرها على النظام الفلاحي:
103	ثانيا: ثورة ابن الشريف الدرقاوي: (1805-1816م)
103	1. التعريف بإبن الشريف الدرقاوي
104	2. أسباب الثورة:
107	3. نتائج الثورة وتأثيرها على الوضع الإقتصادي والإجتماعي:
109	ثالثا: الثورة التيجانية
109	1. التعريف بشخصية محمد التيجاني:
110	2. أسباب إندلاعها:
110	3. نتائج الثورة:
112	الخاتمة:
117	الملاحق
125	قائمة المصصادر والمراجع
139	فهرس المحتويات

وثيقة ايداع مذكرة ماستر

الموضوع:

الكوارث الطبيعية والبيئية في الجزائر خلال العهد العثماني
[1518 - 1830 م]

إعداد الطلبة:

1- فتوح ميمياء رقم التسجيل: 3506105061

رقم التسجيل:

2- القسم: تاريخ الشعبة: تاريخ الجزائر التخصص: تاريخ حديث
إشراف: عبد الحميد عمران الرتبة: أستاذ لتعليم العالي

أقر بأنني تابعت العمل المذكور أعلاه في جلسات إشرافية طيلة الموسم الجامعي: 2024-2025 وأسمح بإيداعه على مستوى ادارة القسم للمناقشة والتقييم.

رئيس فريق الاختصاص

موافقة وإمضاء الاستاذ(ة) المشرف(ة):

رئيس القسم



Web site:

<http://virtuelcampus.univ-msila.dz/facshs/>

الموقع الإلكتروني:

Face book:

<https://www.facebook.com/FshsUnivMsila/>

الفيسبوك:

Tel / Fax:

+213 35 35 3044

هاتف/فاكس:

ملخص:

عرفت الجزائر خلال العهد العثماني من الفترة الممتدة ما بين (1518-1830م) سلسلة من الكوارث الطبيعية المتمثلة في الزلازل والفيضانات والجفاف أدت إلى انتشار المجاعة، كما أن ظهور الأوبئة والتي تزامن حدوثها مع التقلبات المناخية مما أثرت تأثيرا بالغا على صحة الفرد والمجتمع كما اجتاحت وباء الطاعون والجذري والكوليرا إيالة الجزائر وقد تركت هذه الازمات الصحية تأثيرا اجتماعيا واقتصاديا مما أدى إلى هلاك وموت الكثير من الخلق وتراجع النشاط الاقتصادي مما انعكست سلبا على النمو الديموغرافي وتهدف هذه الدراسة التاريخية التي حاولنا فيها التعرف على تاريخ ظهور الكوارث والأوبئة ومدى انعكاساتها على مختلف المجالات بالإضافة إلى مساهمة الحكام في صد هذه الأزمات وتجاوز حدوثها، كما كانت الجهود الشعبية في مساعدة علاج مختلف الأمراض والأوبئة بطرق تقليدية أو ما يسمى بالطب الشعبي وأيضا مساهمتهم في القضاء على المجاعة.

الكلمات المفتاحية: الكوارث الطبيعية والأوبئة - الجزائر - العهد العثماني.

Summary:

Between 1518–1830, during the Ottoman period, Algeria faced a series of natural disasters, including earthquakes, floods, and droughts, which often resulted in widespread famine. These events were frequently accompanied by the outbreak of epidemics, whose impact, compounded by climatic fluctuations, severely affected individual well-being and the overall health of society. Epidemics such as the plague, smallpox, and cholera repeatedly struck the Regency of Algiers, leaving profound social and economic consequences, mass deaths, crises, and a decline in economic activity, which in turn negatively affected demographic growth. This historical study seeks to examine the occurrence of natural disasters and epidemics in Algeria, their effects on various aspects of society, the measures taken by rulers to prevent or mitigate their impact. It also highlights the contributions of local communities in addressing these crises, including the use of traditional remedies—commonly known as folk medicine—and efforts to alleviate famine.

Keywords: Natural disasters – Epidemics – Algeria – Ottoman period.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ